وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:UN2801202406064087705

الأوضاع الاجتماعية والثقافية لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني (1711- 1830م)

مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: تاريخ الجزائر الحديث.

إعداد الطالبة:

✓ ميادة جحيش

إشراف الدكتور:

- جمال عطابي

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د. هجيرة سلامي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
2	د. جمال عطابي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	أ د. عبد الغني حروز	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024.

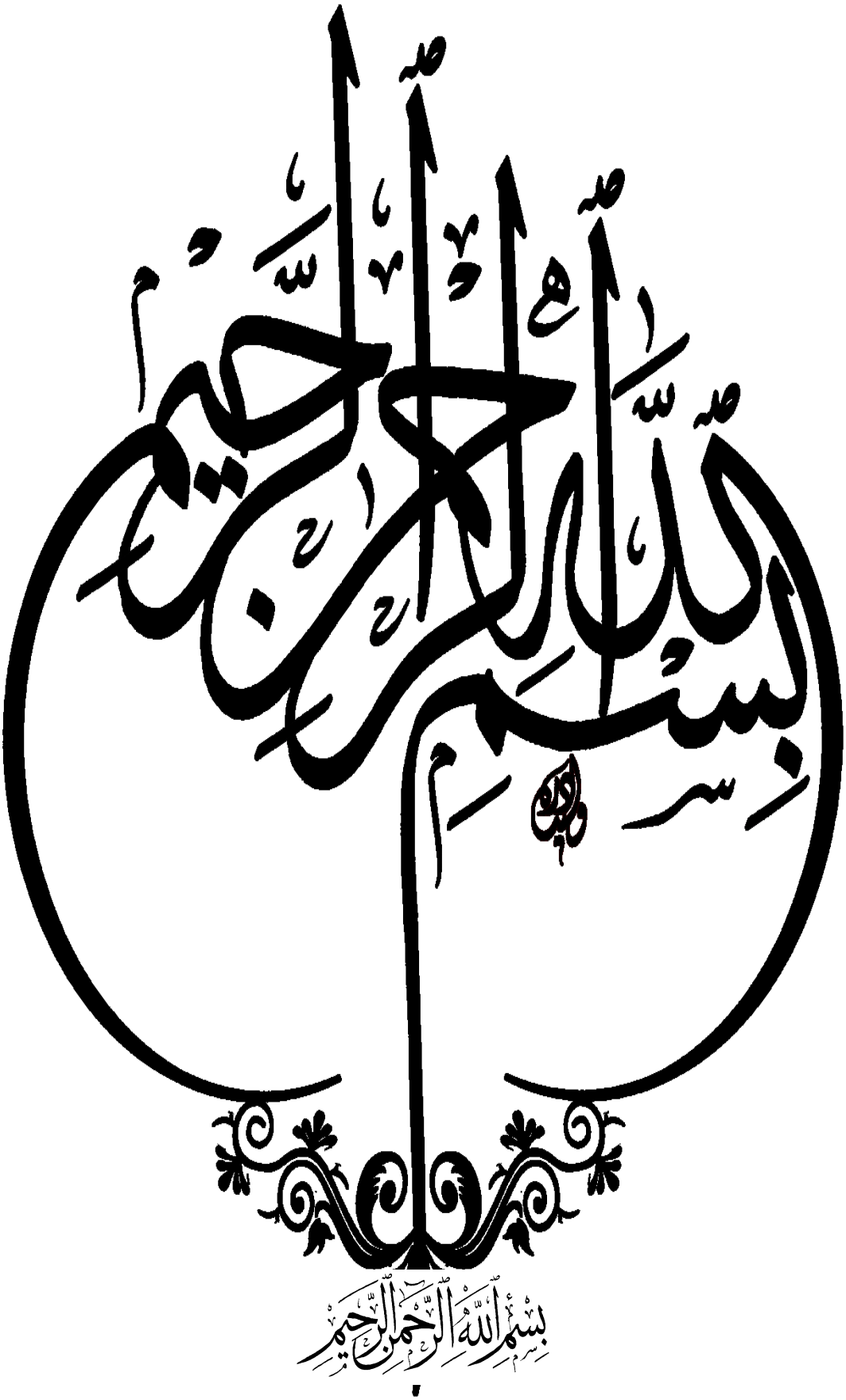
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الأوضاع الاجتماعية والثقافية لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني 1711-1830

إعداد الطلبة:

1- **ميادة جحيش** رقم التسجيل:UN2801202406064087705

القسم: التاريخ **الشعبة**:............ **التخصص** :تاريخ الجزائر الحديث **إشراف**: **جمال عطابي**

الرتبة:أ.....محاضر ب....

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

نائب رئيس قسم التاريخ مكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي

الموقع الالكتروني: Web site : http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/
الفايسبوك: Face book : https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/
هاتف/ فاكس: Tél / Fax : + 213 35 35 3044

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم : /2024

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice Dean for Studies and Student-Related Matters

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة) : بحيش ميادة

الصفة (طالب, أستاذ باحث, باحث دائم) : طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 210767039

الصادرة بتاريخ : 2024.08.08 عن دائرة : بلدية [illegible]

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص : تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل UN280120240606408770

و المكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير, أطروحة دكتورة) .

عنوانها :

الأوضاع الاجتماعية والثقافية لإيالة الجزائر أواخر العهد العثماني 1791 - 1830

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية و المنهجية و معايير الاخلاقيات المهنية و النزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه

[illegible] للمصادقة على إمضاء [illegible]
برسوم في 04 جوان 2025

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه ضابط الحالة المدنية
شاكر نواوي

شكر وتقدير

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا، والقائل في محكم تنزيله: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " الآية رقم (07) سورة إبراهيم.

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولئن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر والعرفان؟. وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات؟ فما علينا سوى اختصارها في هذه الكلمات،

فكل الشكر إلى أستاذنا المشرف د. جمال عطابي منبع المعرفة الذي أنار دربنا بإرشاداته وتوجيهاته فكل الشكر والاحترام له.

كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ.

إهداء

بسم من سبب الأسباب وفتح الأبواب وخلق أدم من تراب وجعل طاعة الوالدين فيهم عز وجل: "وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيراً" أهدي ثمرة جهدي إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها.

- ✓ **إلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل والدي العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.**
- ✓ **إلى من يقاسمنى الحياة حلوها ومرها زوجي الغالي.**
- ✓ **إلى أحباء قلبي بناتي حفظهم الله ورعاهم.**
- ✓ **إلى كل أخوتي وأخواتي.**
- ✓ **إلى كل الأهل والأقارب وإلى كل الصديقات وزملاء العمل والدراسة. وإلى من شاركتني وتحملت معي كل الصعاب لإتمام هذا العمل رتيبة ربي يحفظها.**

مقدمة

إن دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر خلال العهد العثماني من الأهمية بما كان، وتزداد هذه الأهمية إذا علمنا أن معظم الدراسات التي اهتمت بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ركزت على الجانب السياسي أكثر من أي جانب آخر، في حين أن تكوين صورة متكاملة عن الوضع الاجتماعي والثقافي للجزائر والجزائريين في تلك الفترة لا يتأتَّى إلا بدراسة تستوفي جميع الجوانب وخاصة منها الاجتماعية والثقافية.

دواعي اختيار الموضوع:

ومن هذا المنطلق جاءت رغبتنا في دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، وتسليط الضوء على الجانب الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري. إن الوضع الاجتماعي والثقافي يعبر لا محالة عن الهوية الوطنية، ويشمل كل ما تركه الأسلاف من معارف وآداب وتقاليد وقيم، يعكس نشاطهم المعرفي، وطريقة تفكيرهم، فيبقى هذا كله متوارثا جيلاً بعد جيل، وكان الهدف من هذه الدراسة تقديم صورة واضحة وموضوعية وشاملة عن الواقع الاجتماعي والثقافي. وباعتبار أن الموضوع يدرس جانبا مهمة لفترة زمنية محددة من تاريخ الجزائر والذي اندرج تحت عنوان: الأوضاع الاجتماعية والثقافية لإيالة الجزائر أواخر العهد العماني (1711م- 1830م)

إشكالية الدراسة:

ينحصر موضوع الدراسة من بداية عهد الدايات 1711م، وامتد إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، مع التركيز أكثر من حيث الإطار المكاني على مدينة الجزائر باعتبارها من المدن الكبرى، لأن معظم الدراسات والكتابات ركزت على دار السلطان، وعليه تكون الإشكالية الرئيسية هي: ما هي أهم مميزات الأوضاع الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني؟.

ويتفرع عن هذه الاشكالية طرحنا عدة تساؤلات تذكر منها:

ما هي الفئات المكونة للتركيبة البشرية خلال هذه الفترة؟

ما هي أهم المظاهر الاجتماعية التي سادت المجتمع الجزائري؟

ما هي أهم المؤسسات التعليمية التي حملت مهمة نشر الثقافة؟

هل شهدت هذه الفترة من الحكم العثماني إنتاجا علميا يلمسه المجتمع الجزائري؟

المنهج المعتمد:

وفيما يتعلق بمناهج البحث المتبعة في الدراسة تنوعت بتنوع مضامين الفصول، وما تتطلبه الأفكار، وطبيعة الدراسة التاريخية، اعتمدنا المنهج التاريخي بآلياته المختلفة لكونه أساس كل الدراسات التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي في عرض الوضع العام بالجزائر، وأيضا المنهج المقارن بسبب اختلاف الرؤى بين الكتاب خلال تلك الفترة، وفق رؤية منطقية تربط الأسباب بالنتائج ، وحتما نستخدم المنهج التحليلي لما يقتضيه الموضوع من تفكيك وتركيب الأحداث التاريخية.

خطة البحث:

حتى يكتمل العمل ويأخذ شكلة النهائي، اعتمدنا على خطة تحتوى على مقدمة ومدخل وفصلين، كل فصل تندرج عنه مجموعة من العناصر، فضلا عن الخاتمة والملاحق والفهرسة.

فيما يخص المقدمة فيتضمن التعريف بالموضوع ودواعي اختيار الموضوع وأهمية الدراسة، بالإضافة إلى الإشكالية والمنهج المتبع والخطة وصعوبات إضافة إلى أهم المصادر والمراجع.

أما التمهيد (المدخل) فكان بعنوان "الوضع العام في الجزائر" تطرقنا إلى الأوضاع الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية.

وبالنسبة للفصل الأول الذي يحمل عنوان "الحياة الاجتماعية في الجزائر في العهد العماني" فبينا فيه البنية السكانية في الجزائر كفئة الكراغلة والأتراك وفئة الحظر...، وأيضا بعض مظاهر الحياة بدءا بالعادات والتقاليد. وبعض المشاكل التي عانى منها الشعب الجزائري المتمثلة في الكوارث الطبيعية.

وخصصنا الفصل الثاني المعنون "المؤسسات التعلمية والتثقيفية في الجزائر" للحديث عن أهم المؤسسات خلال الفترة المدروسة، وتحدثنا عن الزوايا والمساجد وكذا المكتبات التي كانت تعتبر من أهم المؤسسات التعليمية في الدولة، وأهم العلوم المدروسة التي غلب عليها الطابع الديني، كما تحدثنا عن مساهمة بعض الحكام في الحياة الثقافية.

وبعد الفصول وضعنا خاتمة للموضوع وهي عبارة عن حوصلة لما توصلنا إليه من نتائج، وأتبعناها بملاحق لها علاقة بموضوع البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع، وآخر ما ختمنا به فهرس شامل لكل ما تحتويه الدراسة.

الدراسات السابقة:

أفادتنا الدراسات السابقة في دراستنا من خلال إزالة الغموض عن بعض الجوانب، وعلى هذا الأساس اعتمدنا على أطروحتين بصفة أساسية هما:

أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519- 1830م) رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، سنة 2006/2005م.

عائشه غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700- 1800م) منو مقاربة اجتماعية واقتصادية، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجرائر، 2000/ 2001 م.

عرض ونقد المصادر والمراجع:

استندنا في إنجار موضوعنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها :

- كتاب "المرآة" لحمدان خوجة وقد اعتمدنا الفصل الرابع والخامس اللذين بهم طبيعة السكان وعاداتهم.

- مذكرات أحمد الشريف الزهار (1754- 1830م) وغيرهم.

وأما المراجع نذكر: كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي ما بين القرن 16- 20 م) لأبي القاسم سعد الله، حيث أفادنا كثيرا في الجانب الثقافي والديني باعتبار مؤلفه مختص بالحياة الثقافية في العهد العثماني، وأيضا مؤلفات ناصر الدين سعيدوني، بالإضافة إلى مراجع أخرى.

الصعوبات:

لا يخلو أي بحث من صعوبات تعترض الباحث أثناء إنجازه لبحثه دون الوصول للغاية والهدف المرجو منه ومن هذه الصعوبات:

- صعوبة جمع المصادر والمراجع.

- الدراسات المتعلقة بالعهد العثماني صعبة ومعقدة من حيث المنهج وشحيحة في بعض الأحيان.

- معظم المصادر التي اطلعت عليها ركزت على الجانب السياسي والاقتصادي مع بعض الإيحاءات حول الجانب الثقافي.

وبالرغم من هذه الصعوبات حاولنا بدل جهدنا في إنجار هذا العمل والذي نرجو أننا قد وفقنا في ذلك.

مدخـــــــــل

الوضع العام في الجزائر.

1. الأوضاع الاقتصادية.
2. الأوضاع الاجتماعية.
3. الأوضاع الثقافية.

مدخل: أوضاع الجزائر العامة خلال العهد العثماني.

إن الأوضاع العامة في الجزائر اقتصادية كانت أو اجتماعية وحتى ثقافيه، تأثرت بشكل كبير بطبيعة وخصائص الحكم والحاكم العثماني فيها، والذي استمر ما يزيد عن ثلاثة قرون من جهة، وبشخصيات الحكام الأتراك من جهة أخرى. حيث تميزت هذه الأوضاع بالاستقرار والازدهار في بعض الأحيان والاضطرابات والانحطاط أحيانا أخرى.

بدأت الجزائر تأخذ منعرجا خطيرا بنهاية القرن السادس عشر ميلادي(16م) بعد أن كانت تتمتع بمكان مرموقة وهيمنة دولية.

1. الأوضاع الاقتصادية:

لقد نتج عن الاستقرار السياسي المبكر الذي عرفته مدينة الجزائر منذ أواخر القرن 17 ميلادي وبداية القرن 18 ميلادي، ازدهارا في نشاطها الاقتصادي، وذلك بسبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا أدوارا مهمة في زيادة الإنتاج الاقتصادي في جميع المجالات الزراعية والصناعية والتجارية، إذ نرى أن هذه الفترة كانت لها تأثيرات واضحة وانعكاسات جمة خاصة في بناء النظم الإدارية والاجتماعية. وقد كان نشاط القرصنة دافعا اقتصاديا خاصة في توحيد العلاقات الخارجية[1]، كما يمكن القول أن الوضع الاقتصادي الذي تميزت به الجزائر أثناء الحقبة التركية الاستفادة من مداخيل القرصنة بشكل كبير والإتاوات[2]، كما كان للأسطول البحري الجزائري دور هام في تنشيط الاقتصاد وذلك من خلال سيطرته على البحر المتوسط لفترة دامت حوالي ثلاث قرون، وبذلك أصبحت الجزائر من أقوى دول المنطقة. إلا أن ذلك لم يد طويلا مما دفع بالجزائر للقيام بأنشطة أخرى من

1- ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19م، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ص 180.

2- الإتاوات: هي مبلغ مالي تفرضه الدولة عل المنتفعين لقيام الدولة ببعض المشروعات. ينظر: معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 04.

شأنها سد الفراغ المادي الذي تركه هذا التدهور، فلجأت إلى الصناعة والزراعة وحتى التجارة كبدائل اقتصادية جديدة[1].

1.1. الصناعة:

عرفت الجزائر في العهد العثماني نشاطا على الصعيد الداخلي والخارجي، خاصة في الصناعة الحربية. ومن بين أهم الصناعات الحربية الأكثر رواجا هي صناعة السفن التي شجعت من طرف البحرية الجزائرية، وتطورت عمليات الغزو البحري. كما احتوت الجزائر على العديد من المراسي التي توفرت على ترسانات[2] مجهزة لصنع السفن والقوارب ومن أهمها: مرسى الجزائر وأيضا مرسى شرشال وجيجل وعنابة[3]، كما تعددت صناعة السفن في العديد من الأنواع، فكان جزء منها يصنع في الموانئ الجزائرية، والجزء الثاني يشترى من الخارج أو في شكل هدايا من الدول الإسلامية. أما صناعة الأسلحة التي شملت صنع البنادق وسبك المدافع وتحضير البارود، كانت تصنع في المدن الكبرى مثل قلعه بني راشد[4].

أما فيما يخص الحرف والصناعات اليدوية والصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، وأيضا الحدادة المتمثلة في صناعة السيوف والرماح وتصنيع الفحم من الأشجار والفلين[5].

إلا أن كل هذا لم يساهم في تطور الصناعة بشكل كبير واستمرارها، وذلك بسبب الضرائب الملقاة على عاتق الممارسين للمهن الصناعية، لهذا لم يكن هناك نهضة صناعية للجزائر أثناء هذا العهد[6].

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط3، البشائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 66.

2- الترسانة: خِزانة الأسلحة، ينظر: محمود عامر، المحطات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 117، كانون الثاني، حزيران 2012، جامعة دمشق، ص 12.

3- أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية (1519هـ، 1830م)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 48.

4- المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 92.

5- جون وولف باتيست، الجزائر وأوربا 1500م- 1830م، تر- تع، أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 2005، ص43.

6- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1965، ص 156.

1-1- الزراعه:

كانت الجزائر توفر كل الشروط الطبيعية المساعدة، حيث كانت تمثل ثلث إقليم مدينة الجزائر، وكذا توفر ماء السقي. وهذا ما أدى إلى زيادة الإنتاج الزراعي كون المجتمع الجزائري كان فلاحيا، فبالإضافة إلى إنتاجهم للقمح والشعير والخضر والفواكه، استحدثوا زراعات جديدة كزراعه التوت والخوخ والمشمش وأنشأوا مزارع واسعة لزراعه القطن.

باعتبار الزراعة هي المورد الأساسي الذي يؤمّن عيش أغلبية السكان، وتميز أسلوب الإنتاج فيها بالنظام الإقطاعي[1]، كما كانت فترات الجفاف التي كانت مصحوبة بغزو الجراد وانتشار الأوبئة وإتلاف المزروعات، ولم يشهد النشاط الفلاحي استقرارا وتطورا، وذلك لتدهور الأمن بالجزائر العثمانية مما أدى إلى تدهور أحوال الفلاحين[2].

2.1. التجارة:

عرفت التجارة أثناء العهد العثماني بالتدهور، ويمكن القول أن وضعيتها كانت غير جيدة، فقد كانت التجارة الخارجية تعاني نتيجة انتشار عملية القرصنة في البحر الأبيض المتوسط من طرف المسلمين والمسيحيين، أما فيما يخص التجارة الخارجية فكانت عرضة لانعدام الأمن نتيجة انتشار قطاع الطرق[3].

لذا يمكن أن نقول أن الوضع الاقتصادي أثناء الفترة العثمانية كانت تعيش حاله تأزم بسبب الغارات الاسبانية المتكررة، وانعدام الأمن بالريف وتذبذب وركود التجارة[4].

2- الأوضاع الاجتماعية:

قُدّر عدد السكان بالجزائر حوالي 130 ألف، حيث بدأ يتناقص نتيجة الأوبئة التي تسببت في انخفاض عدد السكان في مدينه الجزائر، والملاحظ أن التركيب الاجتماعي للجزائر

1- النظام الإقطاعي: هو تفرد مجموعة من ملكية الأرض، وهو نظام سياسي اجتماعي اقتصادي، قائم على حيازة الأرض، ينظر: معجم اللغة، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، ص 50.

2- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 156.

3- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 34،

4- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، بداية الاحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، ص 105.

يعكس التنوع العرقي من حيث الأصول للمجتمع الجزائري، وذلك في ظل وجود العناصر التركيبة، ازدادت المنظومة المجتمعية لحمة، وذلك فيما تحقق من تمازج ثقافي مما أدى إلى تكوين عدة فئات اجتماعية[1].

1.2. فئة الأتراك العثمانيين: (الفئة الحاكمة)

وهي الطبقة الارستقراطية المسيطرة على مدينة الجزائر منذ ارتباطها بالدولة العثمانية وتنقسم إلى قسمين:

1.1.2. الفئة الأولى: تتكون من العنصر التركي الخاص من آباء وأمهات أتراك، كانت هذه الفئة قويه وذات نفوذ واسع في البلاد[2]، وشملت الأتراك من قوات الانكشارية[3] وموظفين وقادة رياس البحر، وعلى الرغم من قلة الفئة إلا أنها كانت تسيطر على سدة الحكم، ولها نفوذ واسع بحكم تسلمها المناصب الحكومية المهمة في الدولة، وإبعاد أهل البلاد عن تلك المناصب، وعملوا على إبقائهم بعيدين عن مناقشتهم، فضلا عن استقدام أبناء جلدتهم من منطقة الأناضول في حاله وجود نقائص في إدارة البلاد، وتسبب ذلك في عداء بين أهل البلاد والفئة الحاكمة بين الأتراك[4].

2.1.2. الفئة الثانية: تتكون من الأوربيين الذين وقعوا في الأسر وارتفع عددهم بشكل كبير نتيجة الغزو البحري وازدياد عدد الأسرى المعتنقين للإسلام.

2.2. فئة الكراغلة: تكونت هذه الفئة نتيجة زواج أفراد الجيش الانكشاري بنساء الجزائر، وظهرت هذه الطبقة لأول مرة في المدن التي تمركزت بها الحاميات العثمانية، وقد بلغ عددهم حوالي 6000 كرغلي، وتعود قلتهم إلى كون الجند من الانكشارية العزاب يفقدون مجموعة من الامتيازات بعد الزواج[5]، وقد تسببت هذه الفئة في ظهور عدة مشاكل بعد تزايد

1- مغنية الأزرق، نشوء الطبقات في الجزائر، دراسة الاستعمار والتغيير الاجتماعي السياسي، تر: سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980، ص 45.

2- عمار بوحوش، التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1947، ص 85.

3- انكشارية: جيوش محترفون تجمعهم الدولة من المسيحيين، ينظر: محمود عامر، المرجع السابق، ص 10.

4- مغنية الأزرق، المرجع السابق، ص 45.

5- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 97.

أعدادهم، مما دفع الحكام العثمانيين في الجزائر إلى إبعادهم عن المناصب الحكومية المهمة في الجيش والإدارة[1].

3.2. فئه الحضر: هم العناصر التي ولدت بالمدن وترعرعت فيها، تتكون من العرب والأمازيغ، حيث شكل الأندلسيون أهم عنصر في هذه الفئة التي ضمت العلماء، التجار، أصحاب الحرف، حيث حرمت هذه الفئة من طموح سياسي، فقد فرض عليهم العثمانيون وضعية التبعية المطلقة، ويطلق عليهم اسم المورسكيون[2] لعبوا دورا فعالا في تطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية من خلال توسيع وبناء المدن الجزائرية، كما مارسوا عددا من الصناعات المحلية كصناعه البارود والخزف[3].

2-4- فئة البرانية: وهم الأغراب الذين قدموا إلى مدينه الجزائر من مختلف أنحاء البلاد من أجل العمل، وهم من جماعه القبائل المزابيين والأغواطيين، يعمل معظمهم كعمال مدنيين، حيث اشتغلت جماعة في أعمال البناء، أما المزابيون فقد شكلوا فئة متميزة ويعمل معظمهم في المطاعم والمخابز، في حين اشتغل الأغواطيون في أعمال النظافة[4].

2-5- فئة العبيد: الفئة المسحوقة التي تشمل نسبة كبيرة من المجتمع الجزائري ولا سيما منهم الذين تعود جذورهم وأصولهم إلى السودان، وتتراوح أعدادهم ما بين 150 إلى 500 عبدا سنويا، وكانت الفئة الحاكمة تمتلك العبيد كنوع من التباهي[5].

2-6- فئة اليهود: تضم كلا من الأسرى واليهود، الأولى معظمهم من أصول أوروبية، يشتغلون في الحانات والسجون، كما اشتغلوا في القرصنة خاصة في أعمال التجديف

1- فارس كعوان، تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص49.

2- المورسكيون: يطلق على العرب الذين تنصروا في الأندلس، أما أصل الكلمة "مورس" ومعناه المسلمون الأصاغر، ينظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس(1492- 1610م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، ص 41.

3- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون لمدينة الجزائر (1700-1830م)، مقاربة اجتماعية اقتصادية، الجزائر، 2007، ص 36.

4- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 94.

5- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 37.

وصناعه السفن، وكان عددهم غير مستقر[1]. أما الثانية فقد عرفت الجزائر زيادة في عددهم بهجرات من مناطق مختلفة، حيث ارتفع شأنهم الاقتصادي من خلال بيع الغنائم البحرية، وكذلك السمسرة والوساطة التجارية التي كان يمارسونها، قد كانوا ذوي سمعة سيئة في المجتمع الجزائري لكسبهم الفاحش الغير مشروع[2].

كان من الأخطاء التي ارتكبها الأتراك عدم محاولتهم ربط المجتمع في الجزائر بحكمهم، واستمرت علاقاتهم بالمجتمع الجزائري علاقة تتسم بالسوء وبطابع نفعي دون أي محاولة للتوحيد السياسي، وهذا ما يفسر العداء الكبير للكيانات المستقلة أو شبه المستقلة فضلا عن ارتباط المجموعات الجزائرية مع قادتها المحليين، في إطار الطرق الدينية أكثر مما كانت تتفاعل مع الأتراك، وهذا ما يظهر بشكل واضح في تاريخ الثورات التي حازت فيها سد أي حكم أو حاكم[3] وتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية في الجزائر.

3. الأوضاع الثقافية:

تعد الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر فترة مليئة بالأحداث، لما شهدته من تطورات، خاصة على الصعيد السياسي والعسكري، إذ أن معظم الكتابات والدراسات كانت تصب في هذا الجانب، أما فيما يخص الجانب الثقافي، لم تكن هناك دراسات كافية رغم الثراء الثقافي الذي عرفته الجزائر، فعندما نقول أوضاع ثقافية في أيالة الجزائر فإننا بالضرورة نقصد المؤسسات الدينية والتعليمية المتمثلة في المساجد والزوايا[4].

إن التمازج الذي حدث في الموروث الثقافي كان نتيجة التجانس والاختلاط في العناصر الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ودخول بعض الثقافات من خارج البلاد كان بسبب الوافدين،

1- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 95.

2- كمال صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية والاسلامية، 2008م، ص 26.

3- محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط2، 1992، ص29.

4- الزوايا: هي بمثابة مدارس وملاجئ، وكان لكل زاوية شيخ ينشر تعاليمها، ينظر: الحسن السائح، الثقافة المغربية في عصر السعديين، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد 13، 1963م، ص 21.

هذا ما أدى إلى التنوع الثقافي وظهور عدد من المدارس الدينية والفقهية، وقد انتشرت في كامل أنحاء الجزائر، واحتلت المؤسسات العلمية المراتب الأولى، وكانت تضم عددا من العلماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم، فإنتاج الجزائر الثقافي كان من أخصب عهودها بأسماء المثقفين والعلماء والمؤلفات، وفي إحصاء قام به أبو القاسم سعد الله لأسماء العلماء المنتجين وجد أن عددهم يفوق أعدادهم في القرون السابقة، إذ عرفوا نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفات لأسباب متنوعة[1].

وقد لعبت المساجد دورا كبيرا في تعزيز النشاط العلمي والديني، فقامت بتخريج العديد من طلبة العلم في مجال الفلسفة والأدب وكذلك في العلوم العقلية والنقلية، إضافة إلى أنها تجمع العديد من الوظائف وأهمها العبادة وإيواء الطلبة الوافدين من مناطق أخرى[2]، وكان أهم دور يقوم به المسجد هو تحفيظ القرآن الكريم لطلابه، ويلاحظ قلة الإنتاج الثقافي في العهد العثماني في الجزائر يعود إلى الولاة العثمانيين الذين كان لهم محدودية في تكوينهم الثقافي، فقد كان هذا الجانب يختصر على مدن قله في الجزائر التي حافظت على تراثها الفكري الذين نبع فيها بعض العلماء والشعراء، وكانت التعليم متأثرا بعوامل خارجية نذكر منها: الهجرة الأندلسية حيث طُوّر ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم وغيرها يعود إلى احتكاكهم بالأوربيين بعد فتح الجامعات في أوروبا[3]، كما كان للتبادل التجاري التي حدث بين الدول الأوروبية في الجزائر دور في تطور الوضع الثقافي في البلاد، إلا أن السلطات العمومية كانت تهتم بالجوانب الأخرى أكثر من اهتمامهم بالجانب الثقافي وتطويره[4]. وقد عمل العديد من الطلبة الجزائريين على ملازمة شيوخهم لفترات طويلة، منهم من يلازم شهورا ومنهم لسنوات، وذلك لتلقي علوم الفقه والدين وغيرها من العلوم الأخرى، كما كانت تمنح

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 40.

2- نفسه، ص 165.

3- نوال سقاي، الأوضاع الاجتماعية والثقافية في أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، كلية العلوم الإنسانية، 2006م، ص 44.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 166.

إجازة لكل طالب بعد إنهاء دراسته[1]. وذلك لمواصلة تطوير تعليمه، نجد منهم من هاجر إلى تونس والحجاز وحتى مصر ومراكش، والتقوا بعلمائها واكتسبوا العلوم على أيديهم، أما فيما يخص المكتبات فقد وُجدت قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر، وكانت الكتب فيها إما تكتب بطريقة محلية أو النسخ، وهناك من تجلب من خارج الجزائر كالأندلس، الحجاز ومصر[2].

والملاحظ على الحكام العثمانيين عدم اهتمامهم بالوضع الثقافي مطلقا، لكن هذا لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه في تعليمهم، واهتموا بالمكتبات وحافظوا عليها لترجع بالمنفعة على الزوايا والمدارس بتلك المخطوطات والكتب القيمة، وذلك بغرض الرفع من مستوى الوضع الثقافي بها.

1- نوال سقاي، المرجع السابق، ص 45.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 166.

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية في الجزائر في العهد العثماني.

1. البنية السكانية في الجزائر.

1.1. سكان الريف والمدينة.

2.1. الوضع الديموغرافي.

2. الحياة الاجتماعية للسكان في الجزائر.

1.2. المرافق الاجتماعية.

2.2. العادات والتقاليد.

3. الوضع الصحي وعلاقته بالكوارث الطبيعية.

1.3. الكوارث الطبيعية.

2.3. الوضع الصحي.

1. البنية السكانية في الجزائر.

1.1. سكان الريف والمدينة:

1.1.1. سكان الريف:

شكل سكان الريف غالبية سكان الجزائر في العهد العثماني بنسبه 95% من مجموع سكان الإيالة، فالملاحظ أن العثمانيين حافظوا على التنظيم الاجتماعي للأرياف بإبقاء سلطه شيوخ القبائل وتدعيمهم لمرابطي الطرق وشيوخ الزوايا، وهو ما كان يمثل ازدواجية السلطة الإدارية، بحيث اكتفى العثمانيون بالإشراف المباشر، وأعطيت صلاحيات محدودة للعيان والموظفين المحليين المتعاملين مع السكان لتوجيهاتهم.[1]

وقد انقسم سكان الأرياف إلى عنصرين أساسيين هما: العرب والأمازيغ الذين كانوا يعيشون وفق تنظيماتهم الموروثة، وكانت كل مجموعة قائمة على أساس قبلي وقد قال حمدان خوجة عن سكان الأرياف:" ينقسم البدو إلى طبقتين أو على الأصح إلى نوعين من السكان، فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون وأصلهم من الشرق، وينحدرون من قبائل عربية، أما الذين يسكنون الجبال والأماكن الوعرة فهم البرابرة الحقيقيون والذين تختلف لغتهم عن لغة العرب" وأضاف قائلا عن سكان السهول:" ينقسم سكان المناطق المنخفضة أو السهول إلى قسمين: أهل الصحراء الرملية وأهل التل ساكني الجبال الصغيرة القليلة الارتفاع، والجميع من أصل عربي مهنتهم الفلاحة ومسكنهم تحت الخيام المصنوعة من الوبر، وليس لهم مكان مستقر ينزلون حيث المراعي لمواشيهم[2].

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، ص 255.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق- تح- تع الدكتور محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص53.

ويمكن تصنيف سكان الأرياف حسب موقعهم من السلطة العثمانية والامتيازات التي تحصلوا عليها كالتالي:

- **قبائل المخزن:** هي مجموعة سكانية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدوار، وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد ومقابل تحالفها تحصل تلك القبائل على جملة من الامتيازات، فهي تساهم أساسا في تدعيم الجيوش النظامية في عملية جمع الضرائب ومعاقبة المتمردين عن دفعها، وتتحصل مقابل ذلك على إعفاءات جبائية أو إقطاعات، كما تحصل على مرتبات وبعض التجهيزات العسكرية والمؤونة.[1]

انتشرت القبائل المخزنية في البايلكات الثلاثة وضواحي دار السلطان وبالقرب من الأبراج والأسواق الأسبوعية، وأهم الطرقات التي توجد بها المنشآت الاستراتيجية، حيث تصنف إلى ثلاثة أنواع:

- قبائل محلية العريقة التي كانت تحتل الأراضي الخصبة، وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية، ولهذا فضلت التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها وتوفير الدعم الضروري للإدارة العثمانية.[2]

- القبائل الاصطناعية التي شكلها الأتراك العثمانيون من عناصر غير متجانسة ومعظم أفرادها مغامرين ومغتنمي الفرص والعبيد والذين تم عتقهم، وقد أرغمتهم الظروف على وضع أنفسهم تحت خدمه الأتراك مقابل استفادتهم من الأراضي وبعض الوظائف العسكرية

1- أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص59.

2- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص82.

والإدارية، وكانت الإدارة العثمانية تجند من تلك القبائل فرسان فرق زمالة والدواير والعبيد، وتم تدعيم هذه القبائل بالعناصر الكرغلية أو العبيد.[1]

– القبائل الممتنعة أو المستقلة: تألفت في معظمها من القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية كالبابور وجرجرة والونشريس، الشمال القسنطيني، هضاب وهران، هي التي أرغمت عن طريق القوة على الدخول ضمن قبائل المخزن، إلا أنها لم تكن تلتزم بالوضع الذي فرض عليها، فأحيانا تتخلى عن وضعها المخزني لتعود إلى وضعها الأصلي، نذكر منها قبائل نزليوة في أعالي وادي يسر التي كان رجالها يشكلون فرق الصبايحية.[2]

– **قبائل الرعية:** تتشكل من أغلبية سكان الريف الذين يقومون بممارسة الزراعة وخدمة أراضي الدولة كأجراء أو خماسين أو استغلال الأراضي الخاصة بهم، ونظرا لخضوعها لموظفي الدولة فهي مطالبة بتقديم أنواع عديدة من الجبايات والمساهمة بخدمات إلزامية (التويزة) لمصالح الدولة وموظفيها وأعيانها، كما أنها ملزمه بتنفيذ تعليمات موظفي الجهاز الإداري المركزي من شيوخ القبائل وقاده العشائر، فالشرق الجزائري كان قبائل الرعية به تخضع إلى 24 قائدا وشيخا.[3]

وقد تعرضت هذه القبائل إلى عدة أصناف من الاستغلال والضغط، الأمر الذي دفعها في بعض الأحيان إلى شق عصا الطاعة ضد الحكام الأتراك وحلفائهم قبائل المخزن، أملا في تحسين ظروفها المعاشية أو تحت تأثير التحريضات الخارجية.

– **القبائل المتحالفة:** هي القبائل التي تعاملت مع البايلك عن طريق زعمائها المحليين الذين توارثوا الحكم، معتمدين في ذلك على كفاءتهم الحربية أو الدينية أو أصالة نسبهم، منهم من

1– أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 73.

2– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 84.

3– مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج4، ط1، دار الكتاب العربي، 2011، ص 292.

عرف بالأجاود أو النبلاء، وقد اضطرت السلطة للتعاون معهم مقابل إخضاع عائلاتهم مثل الدواودة والأحرار في الشرق، الحنانشة وأولاد بن عاشور في فرجيوة، ولاد عز الدين في الزواغة، وقد كان هؤلاء الأجواد سادة في مناطق نفوذهم.[1] كما نجد المرابطين الذين تقربت منهم السلطة التركية مانحة إياهم بعض الامتيازات مقابل التوسط بينهم وبين السكان. وبغض النظر عن دور هذه الزعامات فإن الإدارة العثمانية عرفت كيف تتعامل أو تقلل من نفوذها وإضعاف تأثيرها في أوساط الريفيين، وقد انتهجت أساليب محكمة لتحقيق تلك الأهداف ومن جملتها سياسة المصاهرة المصلحية التي اتخذها الحكام العثمانيين في بايلك قسنطينة كوسيلة سياسية للسيطرة على البلاد، وقد طبقت هذه السياسة في بداية الحكم العثماني مع شيوخ القبائل بالريف دون المدينة، وقد حققت تلك السياسة استقرارا سياسيا دام أكثر من ثلاثة قرون.[2]

2.1.1. سكان المدينة (الحضر):

شكل سكان المدن فئة قليلة لا تتعدى 5% من مجموع السكان، وقد عرفت التركيبة السكانية لمدينة الجزائر تغيرات واضحة، إذ أصبحت تتميز بتنوع أجناسها وتعددها وهي كالتالي:

- **الأقلية التركية:** تأتي هذه الفئة في أعلى السلم الاجتماعي، تتمركز في المدن الكبرى والبايلكات، عددهم قليل جدا، يتميزون بالقوة والنفوذ الواسع في البلاد، اختلفت أصولهم وأجناسهم، ففيهم القادمون من الديار التركية خاصة منطقه الأناضول[3] أو تركيا الأسيوية

1- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 366.

2- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 85.

3- الأناضول: من أصل يوناني وتعني الشرق، وهو اسم أطلقه البيزنطيون على آسيا الصغرى، وهي شبه جزيرة تشمل معظم الأراضي التركية وتحيط بها البحار كإيجا، مرمرة، الأسود، الدردنيل، البوسفور. ينظر: س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر- تع عصام محمد الشحادات، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص15.

أغلبهم من فرق رياس البحر وفيهم أتراك أوروبا الذين اعتنقوا الإسلام (الأعلاج) وهم أكثر عددا من الأتراك الأصليين. [1]

رغم اختلاف أصولهم وأجناسهم إلا أنهم شكلوا مجموعة واحدة متميزة بلغتها التركية ومذهبها الحنفي، كما تخضع لنظام قضائي خاص، وظلت الأقلية التركية قليلة العدد، حيث لم يتجاوز عدد أفرادها عشرة آلاف نسمة، فرغم طول الفترة التي قضاها الأتراك في الجزائر والتجائهم إلى استقدام جماعات تركية أخرى من وقت إلى آخر للانضمام إلى الجيش الانكشاري إلا أن عددهم بقي قليل، ويرجع ذلك إلى انتشار الأوبئة وكثرة الحروب الداخلية.[2]

يمكن القول أن وجود العنصر التركي في الجزائر كان في تناقص مستمر حتى أصبح خلال سنة (1246 هـ- 1830 م) لا يتجاوز أربعة آلاف شخص.[3]

- **فئة الكراغلة:** يعود ظهور الكراغلة كفئة اجتماعية إلى بداية العهد العثماني عقب سماح خير الدين بربروس للانكشارية بالزواج بعدما كان رافضا لهذه الفكرة وهم أبناء الأتراك والأعلاج من أفراد الأوجاق، ظهرت لأول مرة في المدن الكبرى التي تمركزت بها الحاميات التركية كالجزائر، تلمسان، مستغانم، مازونة، بجاية، معسكر، قلعة بني راشد، غبابة، بسكرة القليعة،[4] تعتبر ثاني أكبر الفئات السكانية في الجزائر بعد الأتراك، فأصبحوا يشكلون غالبية السكان حيث وصل عددهم في مدينه الجزائر إلى حوالي ستة لآلاف نسمة (6000 ن)، وكان أول كرغلي بالجزائر حسن بن خير الدين بربروس من ابنة أحمد ابن القاضي زعيم مملكة كوكو البربرية.

1- وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824م، تع-تق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1982، ص55.

2- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962م، دار المعرفة، الجزائر، ج2، 2009م، ص 181.

3- صالح عباد، المرجع السابق، ص 357.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 94.

كان الكراغلة يرغبون في التمتع بامتيازات آبائهم، غير أنه تم إقصاءهم من المناصب الحساسة وظلوا مهمشين من طرف الحكام العثمانيين وذلك خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد، حتى جاءت فترة حكم الأغوات، خاصة فترة حكم شعبان آغا (1661-1665م) الذي انتهج سياسة الترضية لهذه الفئة، وأصدر قرار ينص على ضرورة معاملة الكراغلة كبقية العناصر التركية، وسمح لهم بحق الانتساب إلى الأوجاق[1]، وبهذا تقلد مناصب عدة في الإيالة الجزائرية العسكرية منها والإدارية وحتى الاقتصادية من خلال اهتمامهم بالصناعة التقليدية والحرفية، كما مارسوا التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية.

- **طبقة الحضر:** تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد ومن مهاجري الأندلس الذي استقروا في بعض المدن الجزائرية، وهم يحتلون المرتبة الثالثة في الهرم الاجتماعي، واغلبهم من العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصناع والكتاب والإداريين، وهم بذلك خليط من قبيلتي بني هلال المتواجدة في سهل متيجة، والمغاربة من قبيلة بني مزغنة أحفاد الصنهاجيين.[2]

أما جماعة الأشراف يعود نسبهم إلى أهل البيت، وقد اشتهر معظم أفرادها بالاحترام والتقدير للحكام وباقي السكان، واقتصر نشاطهم في المحافظة على امتيازهم إضافة إلى أنهم لم يؤثروا في نظام الحكم[3]، وقد استقروا في المدينة منذ القدم وهم أحسن وضعية من الأهالي كونهم معفون من الرسوم، ويشتغل أفرادها في التجارة والفلاحة والصناعة، وتتمثل منتجاتهم في القمح والشعير والحرير والأغنام والأبقار[4].

1- صالح عباد، المرجع السابق، ص 357.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 149.

3- أبو راس الناصري الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ج1، 2011م، الجزائر، ص 40.

4- صالح عباد، المرجع السابق، ص 358.

ومما سبق ذكره أن طبقة الحضر كانت لها مكانة اجتماعية مرموقة خلال العهد العثماني بالجزائر، وحظيت بالتقرب إلى الحكام بشكل أو بآخر، لكن حسب الباحث "محمد بوركبة": "بالرغم من كثرة عددها وتحكمها في المجالات الاقتصادية واكتسابها لموارد الثروات وحصولها على الأرباح الوفيرة جراء هذه المعاملات إلا أنها لم تقم بالدور الاجتماعي على أكمل وجه مثل ما لعبته البرجوازية الصغيرة في أوروبا آنذاك، بسبب الإجراءات التعسفية، كالتغريم والمصادرة من قبل الحكام، واتباع نظام الاحتكار الذي جمد طاقتها، زيادة إلى تخوف الأتراك وطبقه الكراغلة من هذه الطبقة مما جعلهم يعيشون في صراعات مستمرة[1].

– **فئة البرانية:** غالبا ما كانت تتكون من مجموعات سكانية هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر، قسنطينة، تلمسان وغيرها بدافع الإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي نوعية النشاط الاقتصادي، وكانت تنظم وتصنف حسب أصولها ومناطق انتمائها وتتمثل في:

– **البسكريون:** وهم سكان مدينة بسكرة التي تقع على بعد 400 كلم عن مدينة الجزائر، وهي عاصمة الزيبان، والمعروفة ببوابة الصحراء، فتحها حسن آغا سنة 948هـ/ 1541م، كانوا في تلك الفترة يمتهنون حرفة السقاية، تنظيف الشوارع وقنوات المجاري، والحراسة ليلا في مختلف الأحياء، كما يحملون السلع والبضائع، بالإضافة إلى حراسه الأسواق.

– **الجيجليون:** هم سكان مدينة جيجل، وقد سبق التعريف بالمدينة سابقا، امتلكوا المنازل وإدارة المخابز والأفران وطهي الخبز للإنكشارية، اعترافا ومناصرة ومؤازرة للأتراك في حربهم ضد الإسبان.

– **الأغواطيون:** هم سكان مدينة الأغواط تقع في الجنوب الجزائري، تبعد عن مدينة الجزائر حوالي 520 كلم، اختصوا في المكاييل والأوزان ونقل البضائع، بينما سكان القبائل فعملوا

1– أبو راس الناصري الجزائري، المصدر السابق، ص 40.

في الدكاكين لبيع الزيوت أو الحراسة لقلة مصدر الرزق، أما الأغنياء فكانوا تجارا يأتون إلى العاصمة لبيع منتوجاتهم كالزيت والتين والفحم والصابون ثم يعودون إلى بلادهم.

- **المزابيون:** هم سكان مدينه واد ميزاب، عاصمتها غرداية، تقع على بعد 700 كلم جنوب الجزائر، اتخذها الإباضيون مقرا لهم، ازدهرت فيها الحياة الفكرية والاقتصادية والعمرانية في العهد العثماني.[1]

وقد اختصت كل فرقة بالإضافة إلى سكان القبائل والعبيد بمهام معينة، وأعمال محدودة أوكلت لها هذه المهام تحت تصرف أمين يختاره البايلك ويوكل له حق المراقبة في كيفية تسيير شؤونها، وخاصة المتعلقة بالشرطة والقضايا العدلية، ويساعد في ذلك أعوان، شاوش وكتاب.[2]

4.3. أهل الذمة:

1.4.3. اليهود:

عناصر قليلة ساهمت في تشكيل الهرم السكاني بالمدن الجزائرية الكبرى خلال تلك الفترة، البعض منهم ترجع أصولهم إلى يهود بني إسرائيل استقروا بين البربر في الفترة السابقة للإسلام، بشروا باليهودية بينهم، فاعتنقها بعض البربر، والبعض الآخر يعود إلى الهجرة اليهودية من الأندلس قدموا إليها (الجزائر) هروبا من اضطهاد النصارى منذ نهاية القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر ميلادي[3].

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 102.

2- أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص41.

3- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: زبادية عبد القادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 82.

يذكر "محمد داداة" الفترة ما بين (1616- 1660م) يقدر عدد اليهود من الجزائر ما بين 8000 و 9000 نسمة، أما دارفيو(d'Arvieux) فذكر أن عددهم سنه 1674م تراوح ما بين 10000 و12000 نسمة، أما إحصاء ماسون(Masson) فيقول أن عددهم سنة 1724م قدر بـ 5000 نسمة، إلا أن دوتاسي(Dotasy) سنة 1725م يذكر أن عدد اليهود قدر بـ 5000 أسرة، ويلاحظ أن عدد اليهود تزايد في النصف الأول من القرن السابع عشر ميلادي، ولعل ذلك يعود إلى أعداد الوافدين وخاصة من **ليفون**، لكن النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي شهد تراجعا في عدد يهود الجزائر[1]، ولعل ذلك أيضا يعود إلى:

أولا: إما لهجرة اليهود إلى الضفة المقابلة بسبب تراجع نشاط الأسطول البحري الجزائري، والذي كان يوفر المادة الخام لأنشطة اليهود التجارية من أجل توفير رأس المال التجاري لهم.

ثانيا: مرض الطاعون الذي أصاب المنطقة ما بين سنة 1787- 1788م، وأدى إلى وفاة 1771 يهوديا.[2]

ثالثا: الظروف السياسية التي عاشتها الجزائر العثمانية في نهاية القرن 18 الميلادي، والتي أبرز أحداثها الثورة ضد الداي مصطفى سنة 1805م، واغتياله بسبب علاقاته عن اليهود، ما دفع بالكثير منهم إلى مغادرة البلاد، حيث غادرت 200 عائلة يهودية الجزائر نحو ليفون ومنها عائلة بكري وبوشناق، بالإضافة إلى هجرة 100 عائلة إلى تونس[3]. وقتل منهم 200

1- محمد داداة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (مطلع القرن 18م حتى 1830م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1985م، ص 32-40.

2- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 29.

3- سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص104.

يهودي[1]، كما التجأ بعضهم تحت الحماية الفرنسية بقنصليتها بالجزائر بعد تدخل القنصل الفرنسي(D.Tainville) لحمايتهم وحسب القنصل الأمريكي بالجزائر ويليم شالر(W.Shaler) أن عدد اليهود تراجع إلى 5000 نسمه ما بين (1822 - 1824م).

ما يُلاحظ أيضا سهوله اندماج اليهود بالأهالي لتشابه طرق العيش والاشتغال في المهن والحرف التي كان يمتهنها السكان المحليون، ولكن الاختلاف كان في لون لباسهم القاتم الذي كان يفرقهم عن غيرهم، كما كان معظم اليهود يمارسون حرفة التجارة، ونظرا لعلاقاتهم القديمة بالموانئ في أوروبا، خاصة إيطاليا، فرنسا وانجلترا لبيع الصوف والحرير ومواد الصباغة وغيرها بالإضافة إلى المعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة، كما مارسوا أيضا صناعة الزجاج وسك النقود، واشتغلوا أيضا في الخياطة والطرز والقيطانة.

2.4.3. الجالية المسيحية:

ما يميز هذه الجالية أنها كانت أحسن حالا من الجالية اليهودية، وضعهم الاجتماعي كان جيدا، هذه المكانة أهلتهم للقيام بمختلف المهام التي تلائم مهاراتهم، كالعمل في ورشات بناء السفن وصنع الأسلحة، وهناك من اشتغل في المنازل والبساتين والمقاهي والحانات مقابل أجرة وعلاوات وهدايا متنوعة في مواسم الأعياد، أما الأسرى فلا يحد من حرياتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك[2]. ومن جهة أخرى يقول ويليام سبنسر: "وعلى كل حال فإن المسيحيين بصفة عامة والمرتدين (من اعتنقوا الإسلام) منهم بصفة خاصة، كانوا مؤهلين لتولي المناصب العليا، وكانت وضعيتهم القانونية تبدو وكأنها أحسن بكثير من السكان المسلمين من غير الأتراك"[3] .

1- الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص88.

2- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص105.

3- أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص41.

ما يمكن أن نقوله أن فئة أهل الذمة بالجزائر العثمانية كان لها الحظ الوفير في كل الامتيازات، وحرية واسعة في العمل والتجارة وجمع الثروة من أجل حجز مكانة اجتماعية لائقة، والأمثلة كثيرة عن هؤلاء اليهود والمسيحيين، كبكري وبوشناق ومن يعتنق الإسلام بإمكانه أن يصبح الرئيس الأعلى للإيالة، ومن أبرز هؤلاء علي بتشنين وعلج علي وغيرهما.

أما ما يخص المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فكانت المدينة تلعب الدور الريادي في مختلف النشاطات، خاصة منها الصناعية والتجارية والفكرية، لا سيما المدن الكبرى كالجزائر، قسنطينة وتلمسان، وباتت مدينة الجزائر عبارة عن فسيفساء من فئات مختلفة، وضعت بصماتها في السيرورة الزمنية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وساهمت كل فئة بقدر معين في إعطاء الصورة للشخصية الجزائرية المعاصرة، وما لهذا التمازج في العادات والتقاليد والتسامح والمعتقد الديني، بني صرح الحياة الثقافية لمجتمع فريد من نوعه خلال تلك الفترة وخاصة في الفترات التي سادها الأمن والاستقرار.

2.1. الوضع الديموغرافي لسكان المدينة.

عرفت مدينة الجزائر في مطلع العهد العثماني نموا ديموغرافيا بسبب هجرة الأندلسيين وتوافد اليهود واستقرار مجموعات من الأتراك والأعلاج لممارسة الجهاد البحري وجلب أعداد كبيرة من الأسرى، وهذا ما جعل سكان مدينة الجزائر الذين كانوا يقدرون بـ: عشرين ألف نسمة بين (1450 و 1518م) يصلون إلى ثلاثين ألف نسمة عام 1533م، ثم تراجعوا إلى ستين ألف وسبعين ألف نسمة عام 1580م، منهم أكثر من واحد وعشرون ألف من الأسرى المسيحيين[1].

وبقي هذا الازدهار العمراني والنمو السكاني متواصلا طيلة القرن السادس عشر ميلادي وحتى منتصف القرن عشر، فبلغ سكان مدينة الجزائر أوجها وأصبح يقدر بـ 156 ألف

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص567.

نسمة، وبعدها بدأ السكان يتناقصون لانقطاع سبيل الهجرة الأندلسية وتناقص الأسرى، واشتداد الأمراض وحدوث الزلازل، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فأصبحوا لا يتجاوزون مع نهاية القرن 18م خمسين ألف نسمة[1]. علاوة على الكوارث الطبيعية والأوبئة والمجاعات التي كانت تعاني منها الايالة الجزائرية، إهمال الحكام للحالة الصحية وعدم توليتها العناية اللازمة، فهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض، واعتبروه طبيعة وغضبا إلاهيا.

أما أماكن العلاج فتكاد تنحصر في بعض المصلحات وملاجئ العجزة مثل مصلحة زنقة الهواء وملجأ الأمراض العقلية المخصص للأتراك، بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسيحيين التي كانت تنفق عليها الدول الأوروبية، ومن أهمها المارستان العام لرجال الدين الإسبان الذي أقامه الأب الاسباني "سيباستيان دوبون" عام 1551م لفائدة الأسرى، وكذلك المستشفى الذي أنشأه الراهب المعروف "فاريدو" عام 1662م داخل سجون الجنينة بالقرب من باب عزون، ومستشفى لازاريست، وكذلك مستشفى الفرنسي بحصن فرنسا الذي تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية[2].

2. الحياة الاجتماعية للسكان في الجزائر.

1.2. المرافق الاجتماعية.

1.1.2. الإقامة والأسواق.

- **أماكن الإقامة.**

إن تقسيم المدينة إلى أحياء مغلقه تنظيم يعود إلى العهد العباسي، وذلك لرغبة من السكان، واختلفت تسمية الأحياء، وبمدينة الجزائر استعمل مصطلحان تارة الحارة مثل: حارة الجنان

[1]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص91.

[2]- نفسه، ص 88.

وحارة الدواميس وحارة اليهود، وتارة أخرى الحومة مثل: حومة الحوانيت بن رابحة وحومة الرحبة القديمة، والمصطلح الأكثر شيوعا هو الحومة. كان لها أبواب عرفت بالدرب وتحرس من قبل بوابين، ساهم هذا التنظيم في ضمان أمن المقيمين بها، وقد شكلت وحدة إدارية أساسية بالمدينة، ومن مظاهر هذا التنظيم وجود شيخ على رأس الحومة الذي أوكلت إليه مهمات إدارية.

وفيما يخص تسمية الحومات استمدتها إما من المنشآت العمرانية القائمة بها، سواء كانت دينية مثل: الأضرحة والمساجد والزوايا، أو من المنشآت الأخرى كالحمامات والعيون والأفران والأسواق، حيث نجد حومة الجامع الأعظم وحومة حمام المالح، وحومات مدينة الجزائر هي: حومة أولاد الآغا، حومة باب السوق، حومة باب عزون، حومة باب الوادي حومة البطحا[1].

- الأسواق:

عرفت الجزائر ظهور بعض الأسواق التي يتم فيها بيع مختلف السلع والبضائع كالعطور والمنسوجات والمجوهرات[2]، وكانت المبادلات التجارية تتم داخل أسواق أسبوعية يتم فيها تبادل السلع بالنقود أو المقايضة، كانت الأسواق التجارية والدكاكين والحوانيت توجد في شارعين رئيسيين، تباع فيها مختلف أنواع السلع، الشارع الأول يمتد من باب عزون إلى باب الوادي، والثاني من وسط المدينة وينحدر نحو المرسى[3].

أما الصناعة المحلية بمدينة الجزائر فكانت منظمة تنظيما دقيقا، فالحرفيون منخرطون في نقابات حسب التخصص، وكل حرفة تخضع لسلطة رئيس يلقب بالأمين يرجع إليه في حل مشكلاتهم، كأمين البنائين وأمين الدباغين وأمين العطارين وغيرهم، وهذا النظام الإسلامي

1- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 313.

2- سيمون بفايفر، لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 112-113.

3- عمار عمورة، المرجع السابق، ص185.

قديم عرف من عهد الخلفاء الراشدين، فكانت كل حرفة تختص بشارع أو سوق ينسب إليها، فنجد شارع الدباغين وشارع التجاريين وشارع النحاسين وسوق الخشب وسوق الحديد وسوق الشماعين وسوق الخراطين، سوق الفخارين، وسوق الذهب والفضة، وزنقة النحاسين وزنقه الخراطين[1].

لقد أشاد "الحسن بن محمد الوزان" قائلا: "الجزائر هي كبيرة جدا، أسوارها رائعة وقوية للغاية، وتتألف من بيوت جميله وأسواق جيدة التنسيق لكل منها مكانها الخاص"[2]، وقد توفرت المدينة على أكثر من 51 سوقا نذكر منها: سوق الجمعة، سوق الحاشية، سوق الحدادين، سوق الخضارين وسوق الحرارين[3].

- المقاهي والحمامات.

- المقاهي:

تعتبر من الأماكن التي يقصدها الرجال في الجزائر، فهي بمثابة المؤسسة، يتم فيها عقد الصفقات، كما هو المكان الذي يقصده الأجنبي قصد الاحتكاك بالشعب الجزائري للتعرف على حقيقته وتعلم لغته، لقد أخذت المقاهي انتشارا واسعا خاصة في الطريق المؤدي إلى الميناء الذي عرف بعدها بحي المقاهي، وقد قدر عددها نحو ستين مقهى، يتجمع فيها الناس منذ الصباح الباكر حتى تمتلئ القاعة تدريجيا، ما يميزها هو طريقة الجلوس، فيجلس الأتراك على المقاعد العليا لتناول القهوة والشاي كونهم من الطبقة الأرستقراطية، أما بقية

1- عمار عمورة، المرجع نفسه، ص186.

2- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص217.

3- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 313.

الناس يجلسون على الحصير المفروش على الأرض، بالإضافة إلى وجود الموسيقى والغناء بعد صلاة الظهر، إذ كانت تلقى إقبالا كبيرا[1].

- الحمامات:

لقد كان هناك من الحمامات حوالي ستين حماما في أيام "هايدو"، فكانت كيفية الاستحمام في الشرق وعلى ساحل إفريقيا الشمالية معروفة نسبيا، تتألف معظم هذه الحمامات من ثلاث قاعات منفصلة، لكنها في نفس الوقت متصلة بالقاعة الأولى وهي دهليز يشبه أي مدخل دار أخرى والثانية هي القاعة الذي يدع فيها المستحمون ملابسهم ويرتدون بدلة الحمام قبل أن ينتقلوا إلى القاعة الثالثة والأخيرة[2]، عند الدخول إلى القاعة التي تتم فيها الاستعدادات للاستحمام والتي كانت تبلغ درجة الحرارة لطيفة، يجلس الناس على حصائر موضوعة حول القاعة ملتفين في مناشف كثيفة، بعضهم نائمون وآخرون يسترخون بعد الاستحمام وهم يدخنون السجائر ويرتشفون القهوة، هذه الحمامات ملك مقصور على الميزابيين الذين منحوا هذا الامتياز منذ زمن طويل.

تميزت الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر في العهد العثماني بطابع خاص، من حيث طريقة العيش التي ميزت المجتمع وطغت عليه بعادتها وتقاليدها، والتي تجسدت في الحفلات الدينية وكذا حفلات الأعراس، بالإضافة إلى مختلف المرافق الاجتماعية كالأسواق والمقاهي والحمامات.

2.2. العادات والتقاليد:

مارس سكان مدينة الجزائر عادات مختلفة وكثيرة منها حفلات الختان والخطبة والزواج واستقبال وتوديع الحجاج، بالإضافة إلى المناسبات الدينية كشهر رمضان الذي كانت تقام

1- سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص112-113.

2- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص99.

في عادات خاصة ميزته عن باقي الأشهر الأخرى كختم القرآن في المساجد وإضاءة الشموع[1]، كما كان الناس في هذا الشهر يسهرون ويخرجون لزيارة الأقارب والجيران، خاصة النساء، حتى اللواتي لا يخرجن إلا نادرا لتبادل أطراف الحديث بالاستماع بالسهر حسب طريقتهم، أما الرجال يتوجهون إلى المساجد للصلاة والقيام بالعبادة ومن بعدها إلى المقاهي وأماكن التسلية[2].

بعد رمضان مباشرة يأتي عيد الفطر المبارك الذي يحتفل به السكان، فيستيقظون على الموسيقى ويرتدون أجمل ثياب المطرزة من الذهب والفضة وحتى المصنوعة من الصوف والقطن، ومن ثم إلى زيارة المقابر والأقارب والجيران.

أما المولد النبوي الشريف فكان فيه الاحتفال مميز من حيث تكون مختلف الأطباق من الحلويات والمأكولات، كما تشعل فيه الشموع، وكان ليوم الجمعة أيضا مظهر خاص حيث تغلق أبواب المدينة عند الصلاة وتغلق الدكاكين ولا تفتح إلا بعد الصلاة[3]، وعند أفراح الزواج والأعياد العائلية فكان السكان يستلفون من بعضهم الحلي والجواهر الثمينة، وهذا يبين ثقة الناس وكرامتهم، فالعائلات الغنية تشتري الحلي الفاخر ويعار للفقراء واليتامى عند زواجهم[4]، كان الرجل الجزائري يكتفي بامرأة واحدة رغم تعدد الزوجات في الإسلام، كما كانت هناك حلقات الإنشاد المسرح مثل: مسرح القرقوز.

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 155.

2- أبو العيد دودو، الجزائر في بلاد الراحلين الألمان (1815-1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص116-117.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص156.

4- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص103.

1.2.2. اللباس:

كانت الأوضاع الاجتماعية السائدة بمدينة الجزائر متأثرة بالحرف والبضائع المنتشرة بها تأثيرا قويا على اللباس خاصة اللباس النسوي، بالإضافة إلى التقاليد الأندلسية والتركية خاصة مما انعكس على نوعية اللباس بمدينة الجزائر [1] فكان تنسيق اللباس من أقدم الأركان التي قامت عليها الدولة العثمانية، وهو بذلك يميز الشعوب عن بعضها البعض، فنوعية اللباس تختلف باختلاف الطبقات وثروة الأفراد وفصول السنة، فلباس الكراغلة والأتراك ميزه زينته بحواشي من الذهب والفضة أو الحرير حسب رغبة الشخص، وهي عبارة عن سراويل عريضة مصنوعة من القطن وقميص من الكتان وسترة قصيرة من الكتان والقطن، ثم قفطان مفتوح في المقدمة وله ألوان كثيرة، كما يلبسون أحذية عالية من الجلد[2].

كان لباس المرأة العربية في الجزائر "الحايك" الذي يتكون من قميص صغير وسروال ضيق ينزل نحو الأسفل وثوب من الحرير وأيضا تلبس حذاء، كما تضع حلي ثقيل من خواتم وأقراط وأساور وخلاخل من ذهب وفضة، ولباس الرأس مصنوع من الذهب أو الفضة ويكون شكله مخروطي، وفوقه تضع الحجاب ضد الطرز الخفيف أو الثقيل حسب الذوق، أما اليهود فقد كان حالهم مثل حال المسلمين في اللباس والسكن.

2.2.2. التأثيث:

يعد التأثيث من بين الأشياء المعتادة لدى كل منزل، فالتأثيث بالنسبة للفقراء يكون بطريقة بسيطة وساذجة من حصير وخزانة صغيرة من الخشب، أما الأغنياء فيملكون الزربية وبساط للتزيين، ولكن بالنسبة للفلاحين فقد كان من أجل الغطاء أيضا والراحة لكل العائلة، كما لم

1- ناصر الدين براهامي، علي قابليت، الجزائر المحمية بالله- تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات تالة، الجزائر، 2010، ص197-198.

2- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص99.

يملك الفقراء أواني لتحضير وجباتهم عدا قصعة من الخشب لأكل الكسكسي، أما في المنازل الكبيرة نجد جرة وإناء من الطين قراب مخصص لتخزين الأغذية، مثل الحبوب، الزيت، الجبن وغيرها، توضع في وسط الغرفة الرئيسية أو معلقة على الجدار، ونجد كذلك طبق من الطين موضوع في زاوية الغرفة مما يعرف بالرحى، بالإضافة إلى خزانة ومقاعد وصناديق الأمتعة وكراسي المطبخ الخشبية وخزف في مختلف الأشكال ذات ألوان أرجوانية[1].

3.2.2. الغذاء:

كانت الجزائر مليئة بمختلف أنواع الأطعمة من لحوم وأسماك، غير أن طعام سكان المدينة اختصر على السمك، إضافة إلى الكسكسي الذي كانت الطبق الشعبي المشهور، وكان يفتل بشكل حبات صغيره ويقدم بالخضر، وما شيع عن المجتمع الجزائري أنه كثير الاستهلاك للحم الثور المجفف والقليل من لحم البقر[2].

إن الامتزاج العرقي الذي عرفته مدينة الجزائر من أتراك ومغاربه بما فيهم كراغلة ومرتدين المسيحيين واليهود كان عاملا أساسيا في إنشاء مصلحة مشتركة في الدفاع عن قسمهم من الإمبراطورية العثمانية ضد الأوروبيين، تحت طابع الانسجام الاجتماعي، وكنتيجة لكل هذا عاشت الإيالة في هدوء داخلي شجع على تطور الروابط الثقافية والاجتماعية مما أكسبها طابع الإمارة العثمانية الأولى، وهذا راجع إلى وجود حق الاسترداد الذي جذب الأسرى المسيحيين، فقد كان عند ارتداد أحدهم يصبح له الحق في الدخول لخدمة الحكومة، وهناك عامل آخر هو إبعاد الكراغلة من الأوجاق، الأمر الذي ساعد على تقليل التصادم

1- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، د.ط، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص71.

2- وليام شالر، المرجع السابق، ص88.

الاجتماعي في مستويات الزعامة، وهناك عامل آخر وهو سلطه التسيير الذاتي للانكشاريين تحت رؤسائهم وكانت لهاته العوامل تأثير في تحديد السلوك بين المجتمع[1].

إن تعامل مختلف عناصر المجتمع مع بعضها إنشاء لغة جديدة للتعامل فيما بينهم، فقد تأثر المجتمع الجزائري بكل المؤثرات العثمانية والتركية الأناضولية وذلك في العديد من الأساليب، فقد كانت اللغة التركية العصمانلية[2] وهي اللغة الرسمية في الديوان وفي كل الاتصالات الحكومية تكتب بالخط العربي وهي شديدة الصعوبة للترجمة، وقد جلب توارد الموظفين للأوجاق من الأناضول شكلا آخر من التركية أكثر صلابة إلى شمال إفريقيا، وبسبب انشغال الجزائر بالعمل العسكري البحري فقد تمركزت 72 كلمة عسكرية في طبيعتها بين 634 كلمة تركية الأصل مستعملة اليوم، كما بقيت اللغة العربية شائعة الاستعمال لأنها كانت اللغة التي تجمع العرب داخل الحضر قبل مجيء الأتراك، وقد تكونت لغة جديدة نتيجة تواجد الأتراك والعرب والإسبان والتجار الأوروبيين، وهي لغة عمل وتدعى "فرانكو" Franco أو "سبير" Sabir وهي خليط بين العربية والتركية والايطالية[3].

3. الوضع الصحي وعلاقته بالكوارث الطبيعية:

1.3. الكوارث الطبيعية:

لقد شهدت الجزائر اضطرابا في تساقط الأمطار، مما سبب الجفاف وانقطاع الأمطار في بعض الفترات لمده قد تستغرق الموسم الفلاحي كله، وإن كان ذلك بالنظر إلى مواصفات المناخ المتوسط السائد بالجزائر الشمالية ظاهرة طبيعية، ولعل هذا ما جعل نزول المطر في فصل الربيع بمثابة المؤشر على حلول الرخاء أو توقع القحط.

1- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص82-84.

2- نفسه، ص85.

3- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص12.

1.1.3. الجفاف:

لقد كان نتيجة لتذبذب تساقط الأمطار بإقليم الجزائر، فمناخ الجزائر يتميز بتغيرات كبيرة وفوارق معتبرة، وتختلف نسبة التساقط من عام إلى آخر كمثال على ذلك مدينة البليدة التي انخفض فيها تساقط الأمطار[1]، وقد شهدت البلاد فترجع في 1800- 1806 - 1807- 1816- و1819[2]. إن فلاحي مدينة الجزائر تهددهم التقلبات المناخية والتي تسببت في الجفاف والفيضانات المفاجئة، كانت أكثرها تأثيرا على نشاطهم[3]، وقد شهدت البلاد العديد من الفيضانات والعواصف البحرية التي التهمت مساحات كبيرة جدا، مثل سهل متيجة وأدت إلى تخريب المنازل والمنشآت البحرية، ونذكر على سبيل المثال ما حدث سنوات 1791- 1792- 1812- 1816،[4] ولعل هذا ما جعل نزول الأمطار في فصل الربيع بمثابة مؤشر على مجيء الرخاء أو توقع القحط، فإن انقطاع الأمطار في شهري مارس وأفريل وتكرر ذلك لسنة أو سنتين فإنه لا مفر من ندرة المحاصيل وحلول القحط. إن اضطراب التساقط بالجزائر وانقطاع الأمطار في بعض الفترات لمدة قد تهلك الموسم الفلاحي كله، وإن كان ذلك بالنظر إلى مواصفات المناخ المتوسطي السائد بالجزائر الشمالية ظاهرة طبيعية[5].

2.1.3. الجراد:

ساعدت على ظهوره الظروف المناخية السائدة بالجزائر والمرتبطة بالمناخ الصحراوي وتأثيره على مناطق الهضاب العليا الرعوية في الوسط ومناطق التل الزراعية الخصبة

1- ناصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص323.

2- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 563.

3- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 324.

4- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 564.

5- محمد الزين، "نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، 2012، ص131.

المحاذية للبحر في الشمال، فكان زحفه متوقعا كل أربع أو خمس سنوات، وأثره لا يتجاوز في الغالب على كمية الإنتاج الزراعي[1]، ولقد عرفت البلاد زحف الجراد خلال السنوات التالية: (1787- 1882).[2] والجراد لا يشكل كارثة إلا عندما تأتي قبله فترة جفاف طويلة أو يتزامن مع الأمطار المتأخرة أو الفيضانات المفاجئة، وعندما تتوفر هذه العوامل تساعد على زحف الجراد وبالتالي يتسبب في مجاعات رهيبة وأوبئة هائلة، ومن الأمثلة على حدوث المجاعة بعد زحف الجراد نذكر سنوات الجراد التالية: (1789- 1824) وأكثر السنوات التي كان فيها الدمار تلت عام 1760 وأكثرها تأثيرا على الحياة الزراعية وإنتاج الجذب هي سنوات: (1760-1824)[3]، وأما أكثر سنوات زحف الجراد فقد كانت في الأعوام: 1710، 1716، 1724،...1780 وقد تسببت هذه الفترات في اختفاء الأقوات وهلاك الكثير من السكان[4].

3.1.3. الزلازل:

تعتبر الزلازل من العوامل المساعدة على انتشار المجاعة نظرا للخسائر والدمار الذي تحدثه وما ينجر عنها من إخلال بالأعمال الزراعية، ولقد عرفت البلاد الجزائرية زلازل عنيفة[5]، ولقد هزت هذه الزلازل إقليم مدينة الجزائر ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وقد تسببت في تدمير البيوت والعتاد الزراعي وقتلت البشر والمواشي، ولعل من بين أكثر الزلازل قوة زلزال 1775 على عهد الداي بابا علي، الذي استمر شهرين كاملين، ولقد أدى إلى تعطيل الزراعة من 08 أكتوبر 1796م إلى بداية جانفي 1791م هز زلزال عنيف

1- محمد الزين، المرجع السابق، ص131.

2- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة وزارة الثقافة والسياحة، ع92، الجزائر، 1986، ص106-107.

3- مزوز خديجة، الكوارث الطليعية والأزمات الصحية وأثرها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية، مذكرة ماستر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، 2016/2015، ص39.

4- نصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص329.

5- محمد الزين، المرجع السابق، ص131.

آخر أرياف الجزائر الوسطى والناحية الوهرانية[1]، وعطل الأعمال الفلاحية وهجر السكان وتحول الفلاحون من الحقول. وقد كانت الزلازل في الجزائر الشمالية بفعل تكوينها البيولوجي وطبيعتها الطبوغرافية من الشدة والتوتر هذا ما يجعلها من الأسباب التي تؤثر في المواسم الفلاحية، ومن أشد الهزات الأرضية تدميرا زلزال 1802م الذي حدث بالجزائر وقد ترتب عنه خراب مدينة القليعة فهدمت على إثرهم منازل كثيرة وقضي على عدد كبير من الناس[2]، وكذلك شهدت الجزائر ما بين 1792 و 1830م عددا كثيرا من الزلازل نذكر منها: زلزال وهران في 8 و9 أكتوبر 1790 قضى على 3000 شخص، وزلزال 1810 بعنابة، وزلزال 1818 بالجزائر والبليدة، وزلزال متيجة في 1825 الذي خلف أكثر من 7000 ضحية في متيجة وحدها[3]، وفي 02 مارس 1825م حدثت هزات عنيفة وتجدد الزلزال في اليوم الموالي على الساعة التاسعة صباحا، واستمر لمده ثمانية عشر يوما، وقد أشرف على تنظيم عمليات الإغاثة بحي آغا العرب الذي تنقل رفقة عدد كبير من رجاله إلى مدينة البليدة وأمدها بمساعدات من خيام وأدوات لتقليب الأرض وأقوات وإيواء المشردين، كما نظم بحي آغا توزيعا منتظما للمؤونة[4].

وكذلك أمر الآغا الرعية بالبحث عن الناس الذين تحت أنقاض البناء، فمنهم من وجده حيا وأكثرهم ميتا وقاموا بدفن الموتى، وجعل الآغا أخبية للأحياء وقاموا كذلك بإخراج الأثاث من تحت الهدم، وثم بنى لهم نوالات لمستقرهم وكفل اليتامى والأرامل وأخبر الأمير بتلك الواقعة على التفصيل، ثم أنهم تذاكروا في إعادة بناء البلد، وقد كان الزلزال لا ينقطع عن البليدة ليلا

1- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص329.

2- محمد الزين، المرجع السابق، ص131.

3- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص562-563.

4- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص131.

ونهارا لمدة أيام، وفي نفس مدينة الجزائر لم تنقطع الزلازل لمدة ثمانية عشر يوما، كانت في النهار قليلة وفي الليل كثيرة حتى أنها تكررت في ليلة من الليالي أكثر من 10 سنوات[1].

أهم الزلازل: لقد تعرضت السواحل الجزائرية إلى عدة زلازل عنيفة وقوية خلّفت عددا من القتلى وخسائر جسيمة منها:

- **زلزال 1716:** الذي تخربت من جرائه مدن شرشال وبجاية ومدينة الجزائر نتيجة هزات ارتدادية طيلة أيام من شهر فبراير، وقد هلك من سكان الجزائر تحت الأنقاض ما لا يقل عن 20,000 نسمة، ولشدة هذه الزلازل اضطر الأهالي إلى ضواحي المدن منها ضواحي مدينة الجزائر بعدما سقطت منازلهم، ثم تكرر حدوث الزلازل بمدن مليانة وعنابة والجزائر أعوام 1724، 1723 وتضررت شرشال من جراء زلزال 1735.

- **زلزال 1700:** هو زلزال قوي شمل الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد تأثر كل منزل في مدينة الجزائر وقد أدى هذا الزلزال إلى انقطاع المياه وصاحبه ظهور الحرائق، وقد استمرت تكرار الهزات الارتدادية.

- **زلزال 1760:** كان شديدا وأكثر عنفا فقد خرب البليدة وأحدث ضررا كبيرا بمدينة الجزائر، الأمر الذي جعل السكان يلتجئون إلى الحدائق والبساتين.

- **زلزال 1818- 1825:** عم الزلازل معظم المدن الساحلية والمناطق القريبة من مدينة الجزائر منها الزلزال الذي ضرب الأطلس البليدي وخربها وأدى إلى هلاك أكثر من 7000 قتيل[2].

1- أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص155.

2- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية، المرجع السابق، ص 101.

4.1.3. الفيضانات والحرائق: شهدت الجزائر الكثير من الفيضانات والعواصف البحرية القوية التي قضت على مساحات كبيرة جدا، كالتي حصلت في سهل متيجة، وأدت إلى تدمير البنايات والمنشآت البحرية، منها ما حدث سنوات (1791-1816)، وقد تسببت الفيضانات والحرائق في حدوث مجاعات واختفاء الأقوات وموت الكثير من السكان، ومن الفيضانات التي عرفتها الجزائر خلال فترة سنوات (1727- 1816)[1].

5.1.3. المجاعات: من خصائص المناخ الجزائري قلة الأمطار وسوء توزعها خلال الموسم الزراعي إذ غالبا مثلا الأمطار في فصل الخريف فيتعذر بذلك الحرث والبذر ومما زاد من حدة الأزمة أن الجفاف كثير ما كان مصحوبا بآفة غزو الجراد وكان كلما أصاب البلاد ألحق أضرارا جسيمة بالإنتاج[2].

وكانت مدينة الجزائر أكثر المناطق تضررا، كما تعرضت إلى مجاعة رهيبة بالسكان إلى أكل الميتة والدم ولحم الإنسان والخنزير نجاح الحاكم من استيراد القمح من ايطاليا وفرنسا واسبانيا واشرف بنفسه على عمليه التوزيع على السكان.[3]

ومع أواخر القرن الثامن عشر تعرضت البلاد إلى مجاعة أخرى حيث قام الحاكم العثماني على إثرها باستيراد الحبوب من موانئ البحر الأسود وكان مرد هذه المجاعة القحط الشديد الذي أصاب البلاد أما مجاعة 1805 فقد اشتدت وظائفها على السكان في مختلف أرجاء البلاد وبالأخص في الجهة الشرقية حيث عانى السكان لأكثر من ثلاث سنوات متتالية، ويعود سببها إلى عاملين أساسيين هما: غزو الجراد وثورتي الشريف بن الأحرش وعبد الله الدرقاوي.[4]

1- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية، المرجع السابق، ص 101.
2- عائشة عطاس، المرجع السابق، 56.
3- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص144.
4- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص562.

2.3. الوضع الصحي:

في الحديث عن الأمراض والأوبئة نجد أن كثيرا منها ضربت إيالة الجزائر مثل الكوليرا والطاعون والتي كانت لا تختفي من منطقه لتعود وتظهر في منطقه أخرى، ومما زاد من خطورتها تزامنها مع انتشار الجفاف والمجاعة والكوارث الطبيعية كما اشرنا لها سابقا[1]، بالإضافة إلى جهل أغلبية السكان لأبسط قواعد الصحة، كما أدت قلة الأدوية إلى زيادة تأزم من الوضع الصحي، وبما أن العلوم لم تكن قد بلغت درجه فائقة من التطور لتقوم بتحديد جراثيم الأوبئة[2]، فإن سكان الجزائر وحتى الأطباء كانوا يرجعون كل هذه الظواهر إلى وباء الطاعون فقط وكانوا يعاملون المصابين بدعوتهم إلى الاحتراز معتمدين على قول الله تعالى: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى التَّهْلُكَة وَأَحْسِنُوا إِنَّ الله يُحِبُّ المُحْسِنِين".[3]

1.2.3. وباء الطاعون:

لقد شكل الطاعون أخطر مرض عانت منه كل الفئات الاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما انه أصاب كل العناصر الأجنبية التي في البلاد، وقد تكرر ظهوره في شكل حلقات، كما أنه تسبب في انهيار ديموغرافي، وأدى إلى تدهور الوضع الصحي كونه مرضا مزمنا بالجزائر العثمانية، والطاعون الذي اجتاح الجزائر هو طاعون الخراجي أو الدملي ثم الطاعون الرئوي وهذان النوعان من الطاعون كانا الأكثر انتشارا في البلاد الجزائرية وطاعون الخراجي هو الأكثر انتشارا في الجزائر العثمانية والطاعون الرئوي هو أخطر من الطاعون الخراجي، وتتمثل على هذا المرض في نفث أو تنخم لزج ثم دموي أحمر مصحوب بنوبات السعال المحملة بباسيل الطاعون المرتكزة بالرئتان التي تخنق المصاب الذي ينعكر

1- محمد الصالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح وتق رابح بونار، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص28.

2- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص49.

3- سورة البقرة، الآية 195.

لونه وترتفع درجات حرارة جسمه إلى واحد وأربعون، حيث يموت المصاب به بعد ثلاثة أيام، وتنتقل عدوى هذا المرض عن طريق السعلة المحملة بالجراثيم، والطاعون التعفني أعراضه يصاب المريض بحمى وتصل إلى إثنين وأربعون درجة وتليها الوفاة بعد يوم واحد لأنه يؤدي إلى الموت حتما[1].

ولقد كان عدم الاهتمام بالشؤون الصحية من قبل العثمانيين سببا في عدم بناء المستشفيات، لذلك بقي الجزائريون يعالجون أنفسهم عن طريق الزوايا[2].

ويؤكد شمير ما قاله "بفايبر" قبله من أن الطب يكاد يكون غير معروف في الجزائر، فلا يوجد في المدينة سوى طبيب واحد وهو صيدلي كذلك وهو جاهل وكسول في الوقت نفسه، رغم أنه درس الطب في مدينة ليفورنو، ولكنه لا يعرف ولا كلمة إيطالية واحدة ولا اسبانية ولا يعرف كذلك اللغة الإفرنجية التي يتكلمها كل إنسان في الجزائر، ويعتمد الحضر في معالجه الكثير من الأمراض على الحمامات[3].

وقد تواتر ظهور الطاعون البلاد الجزائرية على عدت مراكزه الدائمة وبيئاته المفضلة، وقد استوطن الطاعون البلاد الجزائرية ابتداء من عام 1542م[4].

إذا كانت وطأه الطاعون قد اختفت في مدينة الجزائر وضواحيها عام 1789م، إلا أن الوباء قد انتقل إلى المنطقة الغربية وقضى على عدد كبير من سكان معسكر وتلمسان، وهذا

1- فلة القشاعي موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)، أطروحة دكتوراء في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 2003-2004، ص149-150-151.

2- مؤيد محمود حمد المشهداني، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد5، ع1، نيسان 2013، ص433.

3- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الأمان (1830-1855)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص14.

4- فلة القشاعي موساوي، المرجع السابق، ص153.

ما لاحظه الزياني المغربي أثناء مروره بالمدن الجزائرية في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، إذ قال: "ثم بعد إقامتنا بها (تلمسان) سنة ونصفها، خرجنا منها إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها، وكان عاما في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم"، وقد عرفت مدينة الجزائر فتره ولم يعد إلا في عام 1817م ليستمر إلى غاية عام 1822م، وكان الوباء خلال هذا الفترة أشد عنفا وخطورة إذ قضى على عدد كبير من الأهالي[1].

وقد تحدث أحمد شريف الزهار عن هذا الوباء وقال:" أنه في سنة 1239 هـ انقطع وقد حل بها في رجب من سنة 1232هـ، وبقي بها سبع سنين إلى آخر سنة 1239هـ[2]، وقد كان "بفايفر" هو الطبيب الخاص ورئيس الطباخين في القصر الذي أصبح سنة 1825م طبيب، وفي عام 1830م كان هو الطبيب الوحيد الذي يعالج، وقد استعمل السكان الوسائل البدائية مثل الأدعية والبخور والتمائم وكذلك استعمل السحر والشعوذة والذبائح وزيارة الأضرحة وقبور في معالجه أمراضهم[3].

2. **الأوبئة والأمراض:** لقد عرفت مقاطعة الجزائر كغيرها من الأقاليم الجزائرية الأخرى انتشارا للطاعون سنوات 1799- 1800- 1801- 1802- 1803- 1804م، ولكن اشتدت وطأة المجاعة فكانت سنوات 1800- 1804م فترة قاسية[4]، وكذلك عرف إقليم مدينة الجزائر ثلاث فترات متعاقبة شهدت انتشار الوباء منها وباء 1784- 1788م، وهذه السنوات اعتبرت من أطول وأشرس الأوبئة بنواحي مدينة الجزائر، فتراجع خلالها عدد سكان مدينة الجزائر إلى 5000 نسمة، وبسببه عرفت مدينة الجزائر خلال عام 1778م وتوفي

1- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص406.

2- شريف الزهار، المصدر السابق، ص151.

3- شويتام أرزقي، المرجع السابق، ص406.

4- محمد الزين، المرجع السابق، ص129.

بسبب هذا الوباء 16721 نسمة، منهم 14334 من المسلمين و 1774 من اليهود و 613 من المسيحيين دون حساب الوفيات من بساتين وأحواش دار السلطان، ومن الأوبئة كذلك التي تسببت في هلاك عدد كبير من الأشخاص وباء 1793- 1804م الذي هلك 12000 شخص بمدينة الجزائر، وانتشر في الأرياف بسبب لجوء الفارين إليها من المدينة وفي شهر مارس وأفريل 1793م كان الوباء في حدته بحيث تعطلت بسببه الحياة في المدينة، وفي شهر ربيع 1797م كان الطاعون يحصد من 20 إلى 25 ضحية كل يوم بمدينة الجزائر، وكذلك وباء 1816- 1822م هو الآخر تميز باتساع نطاق انتشاره وقد اجتاح أراضي الإيالة الجزائرية بحدة، واستمر سبع سنوات وأفقر الأرياف وتسبب في إهمال جزء كبير من الأراضي الفلاحية، ووصلت نسبة الوفيات مستوى عالي حيث قدر بـ 33013 وفاة في الفترة الممتدة من 21 جوان إلى 6 سبتمبر 1018م منها 6095 وفاة في شهري أوت وسبتمبر[1] ولقد تكرر ظهور الأوبئة من مختلف أصناف الطاعون خلال القرن 18م، وبلغ مجموع السنوات التي اعتبرت موبوءة 63 سنة في مدينة الجزائر، وقد ظهر الوباء في السنوات التالية 1717-1718-1723-1730-1731-1732م، ثم جاء بعدها خمود دام خمس سنوات(1732-1737م) ثم عاد الوباء ودام مدة 20 سنة(من 1738 إلى 1758م) وانتشر حتى إلى مناطق بعيدة مثل القالة وعنابة، وقد كانت نسبة الوفيات في مدينة الجزائر عام 1740 ما بين 200 و400 وفاة يوميا، ثم بعد ذلك تراجع الوباء في عامي 1759 و 1761م، ولكنه عاد من جديد في 1762- 1764م ثم ذهب مرة أخرى لمدة طويلة قدرت بـ 14 سنة (1764-1778)، ولكن الطاعون عاد في سنة 1778م واستمر مدة 26 سنة (1778- 1804م) عم جميع الجهات وكان شديد الوطأة في على السكان[2] وكذلك وباء 1793 الذي أصاب مدينة الجزائر وأحوازها ووصل إلى مدينة قسنطينة، وهو كذلك أهلك

1- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص328-329.

2- فلة القشاعي، المرجع السابق، ص158-159.

عددا كبيرا من السكان، وجاء بعده وباء دخل المقاطعة الشرقية سنة 1794م[1]، ولم يبتعد خطره إلا لفترة 10 سنوات، وجاءت بعدها فتره 1816- 1822م الذي تعاود فيها الأبئة الطاعونية في الظهور لمدة ست سنوات وقد زاد في حدتها ظهور المجاعات التي تعتبر آثارها الديموغرافية أكثر خطرا، بحيث يعتبر عام 1818م أقسى وباء عرفه إقليم شمال إفريقيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي، فقد اعتبر كارثة ديموغرافية حقيقية[2]، لأنه أهلك عددا كبيرا من السكان، فقضى في مدينة الجزائر على 14000 نسمة، وأهلك ثلثي سكان عنابة إذ كان يحصد يوميا 500 شخص[3]، وقد تميزت السنوات الثلاثين الأولى من القرن التاسع عشر بنسبة أكبر من أوبئة الطاعون، فناهزت سنوات ظهور الطاعون سبعين سنة مقابل ثلاثة وستين أثناء القرن الثامن عشر، وأربعين سنة طيلة القرن السادس عشر، ولكن أوبئة القرنين 17 و 18م أكثر حدة وشده من التي اجتاحت الجزائر أثناء القرن السادس عشر، إذ تشير التقارير العسكرية والمراسلات القنصلية إلى استمرار الوباء الفتاك أو الوباء الخطير جدا لفترات متعاقبة تستمر الواحدة منها 15 إلى 20 سنة تأتي بعدها عادة فترة خمود لا تتجاوز الست سنوات، أما فيما يخص أماكن تواجدها فيها فتتواجد في المناطق الوسطى من البلاد الجزائرية وفي مقدمتها مدينه الجزائر تأتي في المقدمة وكان نصيبها 54% من الأوبئة، وتأتي بعدها الشرق الجزائري بنسبه 26% وتأتي بعد الغرب الجزائري حيث لا تتعدى حصته 15% من الطاعون، وأما فيما يخص مناطق الجنوب فقد مستها أوبئة الطاعون ولكن بنسبة ضئيلة إذا قورنت بالمناطق الشمالية والساحلية من البلاد.

1- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص51-52.

2- فلة القشاعي، المرجع السابق، ص159.

3- أبو القاسم سعد الله، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، د.ط، دار البصائر، الجزائر،2007، ص126.

الفصل الثاني

المؤسسات التعليمية والتثقيفية في الجزائر.

1. المؤسسات الثقافية.
   1.1. الأوقاف والمساجد.
   2.1. المؤسسات التعليمية.
2. أهم العلوم والعلماء.
   1.2. العلوم النقلية.
   2.2. العلوم العقلية.
3. مساهمة الحكام في الحياة الثقافية.
   1.3. الحكام ودورهم في الحياة الثقافية.
   2.3. انعكاسات الوضع الثقافي على المجتمع.

لقد تعددت المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني بالجزائر واختلفت مشاربها وأدوارها حسب إخصاص كل واحدة منها لكن بمجملها أعطتنا تلك الصورة البارزة لما عرفه النشاط الثقافي بالجزائر ومن أجل توضيح هذا المحور عرجنا ولو بصفة مختصرة على مؤسسات الأوقاف والمساجد، وبينا دور الزوايا والرباط، وأهم المعاهد والمدارس المنتشرة خلال الوجود العثماني، مختتمين بوضعية المكتبات آنذاك.

1. أهم مؤسسات الأوقاف والمساجد ودورها الثقافي بالجزائر العثمانية:

إن البناء المؤسساتي للأوقاف لم يكن بالأمر السهل، فتسيير أوقاف وإدارة الأحباس بالجزائر العثمانية متعلق بدءا ببناء المساجد وحبس لها عقارات لتأمين خدماتها وخدمة العلم والدراسة، فضلا عما يتعلق بصيانتها زيادة الإنفاق على الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل بالإضافة إلى أموال توسعها ليشمل الأراضي والبساتين والمحلات وشتى الأملاك، وتمتين في نفس الوقت شبكة التضامن والتكافل الاجتماعي[1].

ولا يخفى علينا أن الجزائر العثمانية عرفت مذهبين في الفقه الإسلامي المذهب الحنفي والمذهب المالكي، ورغم ذلك عرفا التعايش بينهما، وحتى أن أكثر سكان الجزائر المالكية وضعوا وقفهم حسب المذهب الحنفي نظرا لما يتيحه هذا المذهب من مرونة وديناميكية[2].

وعليه سنذكر أهم المؤسسات الوقفية التي لعبت دورًا في تسيير وتنظيم العلم والعمل الوقفي بالجزائر العثمانية:

1- محمد البشير الهاشمي مغلي، "التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، عدد 6، 2002، ص 161.

2- فارس مسدور وكمال منصوري، "التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف (التاريخ والحاضر والمستقبل)"، مجلة أوقاف، العدد 5 ، الجزائر، نوفمبر، 2008 ، ص4.

1.1. مؤسسة الحرمين الشريفين: يذكر محمد البشير المغلي أنه « من حيث نشأتها تعد أقدم المؤسسات الوقفية، فهي تعود إلى ما قبل العهد العثماني، وتؤول أموال أوقافها إلى فقراء مكة والمدينة، فتوجه تارة بالبر مع قافلة الحجاج، وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائري بالإسكندرية في سفن إسلامية أو نصرانية، ومنها إلى الحرمين الشريفين»[1]، أما "سعيدوني يقول: « وقد حظيت مؤسسة الحرمين بأغلبية الأوقاف في مدينة الجزائر، حيث استمدت أهميتها من المكانة السامية التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين، الذي أوقفوا عليها كثيرا من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي تقوم بها، فهي تقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها، وتتكفل بإرسال حصة من مداخلها إلى فقراء الحرمين الشريفين بمكة المكرمة في مطلع كل سنتين، وكذلك كان يوكل إليها حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة من مساجد مدينة الجزائر، حيث كانت تشرف على حوالي ثلاثة أرباع الأوقاف كلها، وهذا ما تثبته بعض التقارير الفرنسية التي تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال، حيث تؤكد بأن أوقاف مؤسسة الحرمين كانت تستحوذ على الشطر الأكبر من الأوقاف خارج مدينة الجزائر، فمن هذه التقارير ما أورده "Genty de Bussy" من أن أوقاف الحرمين كانت تقدر بـ 1373 ملكا منها 70 ضيعة يشرف عليها مباشرة وكلاء الحرمين.»[2] ويضيف مسدور" ومنصوري" « أما قنصل فرنسا Valiard فقد ذكر أن كل بيوت الجزائر وما يحيط بها من أراضي فتعود لأحباس الحرمين» ولكن أظن أن الأمر مبالغ فيه للغاية[3].

2.1. مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم: تحتل المرتبة الثانية من حيث عددها ووفرة مردودها، ويعود ذلك إلى الدور الذي يلعبه الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، والذي كان يشمل على

1- محمد البشير الهاشمي المغلي، المرجع السابق، ص 163.

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص 84

3- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 5.

550 وقفا، منها المنازل والحوانيت والضيعات، كما يعتبر المفتي المالكي هو المسؤول الأول في التصرف على أوقاف المسجد، يختار وكيلا عاما يساعده في المهمة، وبدور هذا الوكيل يعين وكيلان اثنين للمساعدة[1]، أما ما يخص تصريف عوائد أوقاف الجامع الأعظم كانت على الأئمة المدرسين المؤذنين والمقيمين بالإضافة أعمال الصيانة وسير الخدمات[2].

3.1. مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية: يذكر كل من مسدور ومنصوري حول مهمة أوقاف سبل الخيرات: «إن هذه المؤسسة الوقفية ذات الطابع الخيري كانت خاصة بالأحناف أسسها شعبان خوجة سنة 999هـ/ 1590م، اتجه نشاطها إلى المشاريع الخيرية العامة كإصلاح الطرقات ومد قنوات الري وإعانة المنكوبين وذوي العاهات، وتشييد المساجد والمعاهد العلمية وشراء الكتب ووقفها على طلبة العلم وأهله، وكانت مكلفة بإدارة وصيانة أملاك ثمانية مساجد حنفية أهمها "الجامع الجديد"، كما كانت تسير أوقاف سبل الخيرات إدارة منظمة تضم أحد عشر عضوا، بينهم ثمان مستشارين منتخبين وناظر أو وكيل أوقاف المؤسسة وكاتب يُنظم عقود المؤسسة، ويعين الوكيل والكاتب وجميعهم غالبا من بين أهل العلم، ويضاف إليهم شاوش (مستخدم)، كان مكلفا بالسهر على أبنية هذه المؤسسة وتسهيل عمل وراحة 08 طلاب – قراء – يقرؤون القرآن بجوار المؤسسة، وأما أملاكها فقد كانت تقدر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة، وقد تم إحصاء 92 حانونا يعود لمؤسسة سبل الخيرات، ثمانية منها كانت مستغلة من قبل اليهود، وهذه إشارة لسماحة الإسلام وعدالته بين مواطنيه، وغلتها السنوية الإجمالية قدرت بنحو 4455 ريالا، يضاف إلى ذلك أنه كان لمؤسسة سبل الخيرات أربع مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية 156 ريال، إظافة إلى حمامين غلتها السنوية 165 ريال[3].

1- ناصر الدين سعيدوني دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 150.

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق ، ص 9 .

3- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 5.

4.1. أوقاف مؤسسة بيت المال: كما يضيف سعيدوني من خلال دراسته للملكية العقارية حيث يقول عن مؤسسة بيت المال: تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر التي تدعمت في العهد العثماني وأصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والأسرى، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد، وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة، كما كانت تهتم بالأملاك الشاغرة، وتتولى تصفية التركات وتحافظ على ثروات الغائبين وأملاكهم، كما تقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى الفقراء وأبناء السبيل ومنح الصدقات للمحتاجين.

وكان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف سام يعرف ببيت المالجي يساعده قاضي يلقب بالوكيل، ويتولى شؤون التسجيل فيها موثقان يعرفان بالعدول، ونظرا لأهمية هذه المؤسسة فإن المشرف عليها يتمتع بصلاحيات متزايدة والاستقلال في إدارة شؤون بيت المال[1].

5.1. مؤسسة أوقاف الأندلسيين: قامت هذه المؤسسة الوقفية بعد محنة الأندلسيين الذين نزحوا إلى المغرب العربي واستقروا في المدن الساحلية وساهموا في الحرب ضد الإسبان، وترجع أولى عقود هذه المؤسسة حسب المؤرخ الفرنسي ديفوكس (Devoulx) "إلى سنة 980هـ / 1572م. فقد كان أغنياء الجالية الأندلسية يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من جحيم الأندلس. وقد تعززت مؤسسة أوقاف الأندلسيين بعدها بتأسيس مركب ثقافي وتعليمي وديني الأندلسسين[2].

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص 95.

2- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 6.

يضيف محمد البشير المغلي قائلا:« ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية حتى بلغت بالفرنك الذهبي 408.072 في عام 1837.[1]

6.1. أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف: كما يبين مصطفى بن حبوس أوقاف الزوايا والأولياء حيث يذكر ما يلي: « تعود أحباس هذه المؤسسات المستقلة عن بعضها إلى أضرحة الأولياء الصالحين والأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم، وتتمثل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، و كانت فوائدها تعود إلى فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال ، وقد كانت كثيرة في مختلف المدن وخاصة منها مدينة الجزائر، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك، فتكونت بذلك لكل منها ملكية. وأشهر هذه المؤسسات تلك التي ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتي بلغت أحبساها 72 عقارا، وقدرت مداخلها بحوالي 6.000 فرنك فرنسي عام 1937.

7.1. أوقاف المرافق العامة: وتشمل كل من الطرق والعيون والسواقي، كما يذكر "مسدور ومنصوري" ويضيفا: « ويصر كثير من المؤرخين على تسميتها بالمؤسسة غير الدينية نظرا لدورها التقني في مدينة الجزائر غير أن نشأتها كانت بدوافع دينية والرغبة في الثواب الجزيل بإرواء عابري السبيل ورعايتهم[2].

أما سعيدوني فيقول: « وقد جرى العرف على ذلك حتى سميت العيون الموجودة في الأماكن العامة بـ" السبيل". ولا يزال هذا المصطلح يستعمل حتى اليوم للدلالة على المنافع العامة.

1- محمد البشير مغلي، المرجع السابق ص 164.

2- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 6.

وقد أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة كالطرقات والحنايا والسواقي والأقنية، وكل هذه المرافق كانت تحظى بالعديد من الأوقاف ويقوم عليها وكلاء وشواش يُعرفون بأمناء الطرق والعيون والسواقي »[1].

8.1. مؤسسة الأوجاق: وتشمل أوقاف الجند والثكنات كما عبر عنه " مسدور ومنصوري" حيث قالا: « لقد كان لكل من الثكنات السبع الموجودة في المدينة أوقافها الخاصة بها التي ترجع مداخلها إلى العسكر المقيم في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و 300 رجل للغرف الصغيرة وما بين 400 و 600 للغرف الكبيرة. ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الواقف، ولكن الجند يحصلون على أجورهم من الباشا فقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرف الوقفية هؤلاء الوكلاء يتم تعيينهم من قبل مقيمي الغرف ودون تدخل السلطات المحلية مما يوحي بديمقراطية القرار في المؤسسة الوقفية للأوجاق واستقلاليتها عن السلطة المحلية»[2].

2. المساجد: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمَرُ مساجد الله مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من الْمُهْتَدِينَ﴾[3].

حيث يذكر "أشرف صالح" الأهمية الدينية والعلمية لمساجد مدينة الجزائر قائلا: «تعد المساجد من المظاهر والمنشئات المعمارية التي لا يمكن أن تخلوا أي مدينة من المدن الإسلامية منها، فهي تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، فالمساجد كانت من أبرز ميزات مدينة الجزائر التي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية، والتأثيرات العثمانية .

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص 100.

2- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 7.

3- القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 18.

وكان لهذه المساجد دورًا كبيرًا في حياة المجتمع، فكانت تقام بها الصلاة، وإلقاء حلقات الدروس اليومية، ومحطة لفنون العلوم التي كانت معروفة آنذاك، بحيث كانت بعض الجوامع والمساجد تابعة لزوايا معينة، وبعض الزوايا تابعة لجوامع ومساجد معينة، والتداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا، بالإضافة إلى أن المساجد كانت للعبادة والتعليم، فالجامع اصطلاحا أكبر حجمًا من المسجد، فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة أو العيدين، وكثيرًا ما كان يسمى جامع الخطبة، وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالجامع الكبير أو الأعظم، ثم أن الجوامع والمساجد في الغالب غير منسوبة إلى الأولياء، بل هي منسوبة إلى مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين ونحوهم. وقد ذكرها "هيدو" في أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي أنه كان يوجد في المدينة على الأقل 100 مسجد كبير، أو صغير لكل منها أئمة لإدارتها وإلقاء الخطب، وبنيت تلك المساجد من طرف العثمانيين بما فيهم الأعلاج، وكذا بعض سكان مدينة الجزائر الخيرين من الميسورين وذكر "درافيو" في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي أن الأتراك كانوا قد أسسوا عددًا كبيرًا من المساجد الجميلة جدا مع مآذن رائعة جدا، وكانت هذه المساجد تتمتع بمداخيل أقل ما يقال عنها أنها جيدة، ومصدرها الأوقاف الموقوفة عليها، وكانت المساجد تحتوي كذلك على المحراب والمنبر والصومعة وقناديل للإضاءة والماء للوضوء، ومن أهم ما كان يلحق بالمساجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وكانت المساجد تحتوي على موظفين منهم الوكيل والخطيب والإمام، والمدرس والمؤذن»[1] ومن أهم المساجد التي كان لها أهمية كبيرة بمدينة الجزائر:

1.2. الجامع الكبير: كما يسمى أيضا الجامع الأعظم وقد شيد في عام 490هـ/ 1090م من طرف "يوسف بن تاشفين"، كما يعد أقدم وأهم المباني في مدينة الجزائر، تداول عليه

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 245.

أئمة، ومدرسون من درجات متفاوتة[1] ويذكر عبد الرحمان الجيلالي" بخصوص أهمية هذا المسجد حيث يقول: « وقد كانت كل المساجد مرتبطة بالجامع الكبير فيما يتعلق بالإعلان أو الدعوة إلى الصلاة، فما دام لم ينطلق الأذان منه، ولم يرفع العلم الإعلام المصلين البعيدين والذين قد لا يصلهم صوت الأذان، فإن المساجد الأخرى لا تبادر إلى الإعلان عن دخول وقت الصلاة و يرجع السبب في هذا الامتياز الذي كان يتمتع به الجامع الكبير هو تواجد مزولة على سطحه (ساعة شمسية من رخام أبيض) كانت تعرف بها الأوقات الزمنية، حيث كان يعول عليه لضبط أوقات الصلاة الشرعية، إلى جانب وجود نبراس فخم جميل كان موضوعًا في مكان جميل بسطح المئذنة، والذي كان يستعمل للإعلام بدخول وقت الصلاة الليلية، ولاسيما في ليالي رمضان حتى يراه مؤذنو بقية مساجد العاصمة من أعلى الصوامع، فيسرعوا في الأذان »[2]، ولا شك أن مهمة المسجد الأعظم لا تكمن في الصلاة فقط بل تجاوزته الى المعرفة والعلم. « فقد اهتم سكان الجزائر بالعلم والكتب، وهذا دليلاً على احتوى الجامع على مكتبة ضمت كتب دينية قيمة، كما كان يُعرف المكان الذي تعقد فيه جلسات القضاء الأعلى بالمجلس العلمي أو المجلس الشرعي، وكانت ترفع إليه القضايا المستعصية »[3] أما "عبد القادر نور الدين" يبين دور المسجد حتى مع أهل الذمة فيقول: وما تجدر الإشارة إليه أن جلسات هذا المجلس كانت تعقد داخل المسجد الأعظم إذا كان الخصوم من المسلمين، أما إذا كانوا من اليهود أو النصارى فإن أعضاء المجلس يخرجون إلى صحن بجانب الجامع وهناك كانت تتم الجلسة»[4].

1- سيد أحمد باياني، الجزائر، من سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة ، ش.و.ت.ن، الجزائر،1974، ص35.

2- عبد الرحمان الجيلاني، "الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا"، مجلة الأصالة، العدد 8، الجزائر، 1982، ص126.

3- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 28.

4- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط2، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965، ص 152.

كما يذكر عبد الجليل التميمي أيضا أن أحباس هذا المسجد من أطياف مختلفة (مالكيين وأحناف، حكام وأغنياء حيث يقول: « وكانت أوقاف، وحبوس الجامع الأعظم يشترك في تحبسها المالكيون والأحناف على حد سواء، بل ووجد منها حتى الحكام، وأصحاب المناصب العليا من العثمانيين، والمتمثلة في بيان العقود والأملاك والأحباس على المسجد الأعظم، فنجد على سبيل المثال: نسخة الدار الكائنة قرب باب الواد أحبسها للجامع " محمد الدولاتلي باشا بتاريخ 1668م[1]، وهذا ما يدل على أن للجامع الأعظم أهمية دينية ودنيوية كبيرة في حياة الأفراد لمدينة الجزائر.

2.2. مسجد الجامع الجديد: يعتبره المؤرخون ثاني مسجد هام في الجزائر لموقعه الممتاز المطل على البحر المتوسط، وقربه إلى مراسي الميناء حيث يقول "أشرف صالح": هو مسجد له منارة عالية ترى عن بعد من البحر، وله محراب مغطى بالفسيفساء، وكان ناصع البياض فخم المنظر وله قباب عديدة، ورشيقة رشاقة فائقة وهي من القباب المدورة وكانت قاعدته على رمال شاطئ البحر، وكان هذا المسجد تابع للمذهب الحنفي، وعرف أيضا بمسجد الصيادة، وشيد سنة 1070هـ / 1660م فوق مدرسة أبو عنان، وبني على رغبة وإرادة الانكشارية، وبعد هذا المسجد بناء فريدا لتصميمه وأصل تأسيسه، وطرافته تكمن في الطابع الجماعي لإنشائه، الذي لم يتم بأمر صادر عن بعض الشخصيات البارزة. وقد بني بأموال سبل الخيرات، وهي مؤسسة خنفية مكلفة بجمع الهدايا والهبات المقدمة لصالح الحنفيين، أما تصميم المسجد فيبدو أنه مستوحى من الفن البيزنطي، وهناك نقش يذكر اسم الحاج الحبيب مدير الأشغال وهو رجل مسلم، قد يكون تركيا.

القبة المركزية للمسجد ما تزال تمثل إنجازا رائعا على ارتفاع أكثر من 24 مترا، وهي تذكر بالهندسة القسطنطينية، بعظمتها وجلالها، أما المدير المخصص للخطبة والمكون من

1- عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1980، ص 57.

الرخام المأخوذ من مسجد السيدة والساعة الموجودة الآن على المئذنة، كانت مئذنة في قصر الجنينة، وقد تم نقلها وتركيبها على مئذنة الجامع الجديد. أما المصحف المزخرف الذي كان موجودًا بالجامع الجديد، والذي أهداه سلطان القسطنطينية إلى حاكم الجزائر فيعرض الآن بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر»[1]. ودليل آخر للتعايش المذهبي بين الأحناف والمالكية، يقول "نور الدين عبد القادر": وكان لهذا المسجد إمام خطيب، وإمام للصلوات، وفقيه للفقه المالكي، ولابد أن نشير هنا إلى أنه رغم إدراج المسجد في إطار مساجد المذهب الحنفي إلا أنه كان يشمل على أستاذ ومدرس للفقه المالكي، وهذا دليل آخر على غياب أي تعصب مذهبي، وشيخ للفقه الحنفي ومحدثين للأحاديث النبوية، مع رواة.

3.2. مسجد علي بتشين: ما زاد في أهمية هذا مسجد أنه بني من طرف العلوج، وهذا دليل أنهم يعملون لصالح الإسلام بعد اعتناقهم الإسلام، والريس بتشين واحد منهم، حيث يذكر "عبد القادر نور الدين" أن مؤسس مسجد من رياس البحر المدعو "على بتشين" خلال القرن الحادي عشر الهجري الموافق السابع عشر الميلادي. وقد قام ببناء هذا المسجد من ماله الخاص، والذي حمل اسمه، وشيد سنة 1032 هـ/ 1622م، وكان يقع في نهج باب الواد[2]، قاعة صلاة المسجد ذات شكل مربع وهي لا تؤدي مباشرة إلى الشارع، بنيت فوق الحوانيت نظرًا لعدم استواء الأرض، أما القبة المركزية الواسعة فهي تشبه طراز المسجد العثماني. وتم تحويله إلى كنيسة سنة 1258هـ/ 1843م خلال عهد الاستعمار الفرنسي، وما يمكن قوله أن العلوج كانوا يعملون لصالح الإسلام والمسلمين من خلال تشييد المؤسسات الدينية، وفي مقدمتها المساجد وتحصين الأوقاف لها، ولاسيما منهم الذين تبوؤا مراكز المسؤولية[3].

1- أشرف صالح محمد سيد، "المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي" ، مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الرابع، العدد 8، 2013، ص 65.

2- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 110.

3- أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص 66.

كما عرفت وهران بمساجدها العثمانية التي لازالت قائمة الى يومنا الحاضر وتؤدي واجبها الديني والتعليمي، بعضها في حالة ترميم، وسنذكر أهمها:

4.2. جامع باي: يذكر "يحيى بوعزيز" أن هذا المسجد أسسه محمد بن الكبير عام 1793م في مكان يسمى خنق النطاح بوسط مدينة وهران، أغلقه الفرنسيون لعشرات السنين ومنعوا رفع الآذان فيه، وأحاطوه بعمارات حتى يخفوه ويقللوا من شأنه ولم يفتح إلا قبيل اندلاع الثورة التحريرية.

5.2. جامع الكبير: ما يطلق عليه مسجد الباشا، أسسه محمد الكبير سنة 1796م بأمر من داي الجزائر الباشا بابا حسن تخليدا لفتح وهران الأكبر بجوار القصر الأحمر، وحبس له العديد من المتاجر والحمامات، ولقد أوتي بالماء لهذا المسجد من عين جارية كانت قريبة منه،

6.2. جامع محمد بن عثمان الكبير: أسسه الباي عثمان بن محمد الكبير بين عام (1799م- 1800م) بجوار برج القصبة، حوله الفرنسيون عام 1831م إلى مستشفى عسكري، سنوات طويلة حتى إنشاء مستشفى "بوداس" الحالي، واتخذوا الحمامين اللذان بناهما بجواره بوشلاغم مغسلين للجنود الرماة[1]، وبين "يحيى بوعزيز" الوظيفة الأساسية لهذه المساجد حيث يقول: « وظيفتها إقامة الصلاة وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية والتعرف على شؤون الناس وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية»[2] وقد صنفها من حيث وظيفتها إلى:

1- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، د.ب.ن.ت، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص94- 95.

2- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، د.ب، ن.ت، ط.ح، الجزائر، 2009، ص 10.

النوع الأول: أسسها الحكام والخلفاء والملوك والأمراء والولاة كجزء من عملهم الوظيفي، لخدمة المجتمعات الإسلامية، وتسيير سبل أداء شعائرهم الدينية ولكسب عطف الرعية ولربما الشهرة.

النوع الثاني: أسسها كبار الأثرياء للتقرب إلى الله، واستمالة بعض الفئات الاجتماعية وشيوخ الدين، ولكسب الشهرة.

النوع الثالث: أسسها الهيئات والجمعيات الخيرية الدينية والاجتماعية كتكملة لعمل الولاة وكبار الأثرياء وشيوخ الدين وعموما ما تنتشر في القرى[1].

2. الزوايا والرابط:

هي الأخرى لم تكن أقل شأنا من المساجد، والدليل على انتشارها بين الأوساط الشعبية في المدن والأرياف زعماؤها من رجال المتصوفة يجلبون إليهم مريدين حتى تزيد قدسيتهم بين الأهالي، حيث يذكر "ابن ميمون": لقد كانت الزوايا والرابطات تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء، من أبناء الشعب المتعطشين إلى العلم والمعرفة، وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين، كل قسم منهما يقوم بدوره أحسن قيام.

القسم الأول: يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، ويؤمه غالبا الأفراد الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم.

القسم الثاني: فإنه يقوم بتدريس بعض فنون الفقهيات، وبعض المبادئ في علم الفلك، والعقائد وقواعد النحو والصرف، وفنون اللغة والنطق، وهذا القسم يؤمه غالبًا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف[1].

1- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص11.

أما "سعد الله" يقول: وما يميز العهد العثماني بالجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها، ففي المدن والأرياف، وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة، عاش معظم المتصوفة، يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة، فاشتهر أحدهم أنه قام بتأسيس مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويُعلم فيه الطلبة، وكان الناس يتبرعون لهذا المركز، فيكبر و يتضاعف قاصده ومريده، ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان، أو رباط، ويرث الأبناء والأحفاد مكانة و عمل (سيدي فلان)، وتزداد قدسية الزاوية بين أهل الناحية، وبين نواحي أخرى بعيدة» وقد قسم "يحي بوعزيز" هذه الزوايا إلى نوعان:

1.3. الزوايا الخلواتية: يدّعى شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة، والقدرة على تلقينها للاتباع الذين يلقبون "المريدين" أو "الإخوان" أو "الفقراء" حسب اختلاف الجهات والمناطق، يفرضون أذكاراً معينة في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة محدودة ... وبعدها يخرجون الى العامة ويتلونها يوميا تدعى الورد" غالبا ما تكون بعد صلاة العصر أو المغرب، وهذه الظاهرة كما يقول يحي بوعزيز استوجبت تسمية شيوخ زواياها الخلواتية بمعنى " الطرقيين"، لأن كل واحدة من هذه الزوايا لها طريقتها الخاصة في أشكال الأذكار وأوردة معينة على سبيل المثال "الحضرة" لدى العلوية و حلقة البندير والأمواس" لدى العساوية والعمارية[2].

كما تقوم الزاوية بتعليم الأتباع من الطلبة والتلاميذ في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم العلوم الدينية واللغوية خاصة الفقه والحديث والتوحيد، كان يقوم شيخها بهذه المهمة وفي

1– محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق: محمد بن عبد الكريم، السركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 59.

2– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 262.

حالة العكس يوظف من يقوم بها، ويحمل نواب شيخ الزاوية ألقابا منها " المقدم"، "الوكيل"، "الخليفة" حسب اختلاف الجهات.

3.2. الزوايا الغير خلواتية: لا يدعى شيخها معرفة الأسرار ولكن يتخذ أصحابها "وردا" خاصا من الأذكار يتلونها بعد الصلوات، يرتكزون على تحفيظ القرآن، وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية لأتباعهم، إذن يمكن اعتبارها كتاتيب قرآنية.

والزوايا بنوعيها لها مردين حتى خارج الوطن كالتيجانية، السنوسية، العلوية والرحمانية في كل من غرب إفريقيا، اليمن، مصر، الحجاز وبعض بلدان أوروبا كفرنسا مثلا[1].

3.3. أهم الزوايا بالجزائر: لكثرة هذه الزوايا وتعددها بالجزائر سنقتصر على أهمها من حيث استقطابها الموردين وانتشارها:

- **الزاوية الرحمانية:** تنسب إلى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر، تحتوي الزاوية على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة الزوايا، وهو الشكل الذي نقله الأتراك إلى الجزائر، أما المحراب فإنه مزين بأجور الخزف المستورد منسيا الصغرى وبجانبه سريتان صغيرتان من رخام، وقبر الشيخ العلامة، وعدة بيوت ومرافق، وسكن لوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي تحوي عدة قبور دفنت فيه شخصيات تمثل قبر الحاج أحمد باي قسنطينة، وقبر خيضر باشا[2] وقد شيدت هذه الزاوية حوالي 1107هـ / 1696م[3].

- **زاوية الجامع الكبير:** تقع بنهج باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير مشتملة على مسجد بدون منارة، ومدرسة للصغار، كما كانت تضم طابقين يضمان عددًا من البيوت مخصصة

1- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 17.

2- أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص 67.

3- عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 166.

للعلماء من عابري السبيل، أو الفقراء الذين لا مأوى لهم، كما كانت تشمل على طابق أرضي، حيث كان يوجد الماء الضروري للوضوء والشرب، وعدة محلات لإقامة الذين يعملون بالجامع الأعظم، وقد وقف على بناء هذه الزاوية المفتي المالكي الشيخ سعيد ابن الحاج إبراهيم، مما بقى بيده من دخل حبوس الجامع الكبير بعد أداء جميع المصاريف المتعلقة بهذا الأخير، وقد تم بناؤه سنة 1039هـ / 1630م.

- **الزاوية التيجانية:** تقع الزاوية حاليا بعين ماضي وتبعد عن مدينة الأغواط بـ 75 كلم، يعتمد سكانها على تربية المواشي باعتبارها منطقة رعوية، يرجع منشأ الزاوية إلى والد أحمد التجاني "محمد الحبيب" الذي أسس القواعد الأولى للزاوية، باعتباره كان مدرسا للقرآن الكريم، أما مركزية الزاوية في المنطقة لا تعني شيئا بالنسبة للمريدين، لأنها تنتقل بعد وفاة كل خليفة كان يشرف على إدارة حتى بالنسبة للتجانيين، وبالتالي تنتقل المركزية إلى بيت الخليفة الذي ينصب، وفي الغالب ينصب الخليفة حسب القانون المعمول به في البيت التيجاني وهو أكبرهم سنا فقد نلاحظ أن مركزية الخلافة قد انتقلت في عهد أحمد التيجاني من بني سمعون منطقة بالبيض إلى عين ماضي "ثم إلى" فاس" ثم إلى" عين ماضي" مرة أخرى، وبعد الخلوة والكشف لأحمد التجاني مؤسس الزاوية بدأت دعوته تنتشر ويذاع صوتها بين الموردين فازداد عددهم بالآلاف حتى وصلت فارس وغرب إفريقيا بعد سنة 1200هـ حوالي 1793م[1].

بعضها انتشرت في أوساطها الدروشة والخرافات والأباطيل والبدعة بين أتباعها بسبب العجز الفكري لقيادها عن فهم التطورات القائمة وصراعها مع الحركات الإصلاحية.

1- الغالي بن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري (التجانية والعلوية والقادرية) دراسة أنثروبولوجية، غير منشورة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، (2008-2009)، ص 34- 35.

اشتدت الخلافات والخصومات بين شيوخها لأغراض شخصية حول النفوذ والملكية للمكانة الاجتماعية، وحول بعض القضايا الدينية التافهة حيث تشير أن الاستعمار غذى هذه الخلافات ووسع منها[1].

استسلام معظم زعماء وشيوخ الزوايا لما أصابهم من الإعياء والوهن، فأصبحت الزوايا تدار من طرف مريدين غير أكفاء علميا.

5.3. الرباطات: إن الرابط لم يكن يختلف عن الزاوية في هدفها التعليمي والتربوي، إلا أنها كانت مراكز دينية متقدمة جهادية لمقاومة العدو الأجنبي، يذكر "المهدي البوعبدلي" أنها كانت تقوم بحراسة الثغور وهذا منذ الفتح الإسلامي، وازدادت أهميتها عندما تكالبت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي والشمال الأفريقي، إثر الحروب الصليبية[2] ويضيف "عبد الحق مزيان" أن الرباطات عبارة عن معاهد دينية، لكنها لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية، بل كانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية[3] و الرباطات تشبه الزوايا غير أنها مواقع أمامية في وجه العدو كان الهدف من تأسيسها هو الجهاد حيث يكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت[4]، كما أنها كانت مقصدا لبعض العلماء بغرض التعلم والتعليم، يقول: "الورثلاني" كنت أصوم فيها رمضان (بجاية) ناويا للرباط مع تعليمي الطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم ...»[5] ولاشتداد الخطر الإسباني، اهتم بها العثمانيون[6]، بعدما انحصرت بالغرب الجزائري لاستمرار التواجد الإسباني

1- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 20-21.

2- المهدي البوعبدلي،" الرباط والفداء في وهران والقبائل"، مجلة الأصالة ، العدد 13، 1973، ص 22.

3- عبد الحق مزيان، "طريق الذهب وطريق الثقافة"، الأصالة، العدد 3، 1971، ص 18-19.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 172.

5- الحسن الورثلاني ، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن شنب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 2007، ص 18.

6- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 19.

في وهران و المرسى الكبير، و كان لهذه الرباطات دور كبير في تحرير وهران بعدما عملت على تضييق الخناق على الإسبان، واستنزاف طاقتهم الحربية وإرغامهم على الاستسلام[1].

وتجدد الاهتمام بالرابطات في عهد الباي محمد الكبير خلال الفتح الثاني لوهران عام 1792م، حيث جعل التعليم مقتصرا على الرباط وهذا تشجيعا منه للالتحاق به من أجل الجهاد وقد وصفه (الرباط) ابن سحنون بقوله:

ورتب المرابطين في الجبل * * * من كل خبر عن هوى الموت جبل.
وكُل مقدام وهمام وبطل * * * نمد بدا باد الضلال و بطل.
مؤمرًا شيخنا الجلالي * * * محمد الأحق بالإجلال.

وقد شارك في هذا الرباط عدة علماء منهم "الطاهر بن حواء" و"محمد المصطفى بن زرقة" والشيخ "محمد بوجلال" الذي كان يرأسهم حيث كانوا يدرسون و يحاربون[2].

2. المؤسسات التعليمية (الكتاتيب، المدارس والمعاهد): لابد أن نفهم أن المساجد والزوايا كانت القاعدة الأساسية في نشر المعرفة العلمية بشتى أنواعها، إذ عمل فيها العديد من العلماء والمفكرين المسلمين، لكن هناك مراكز أخرى حملت إلى جانبها لواء التعليم والتعلم.

يقول يحي بوعزيز« بالرغم من أن الولاة العثمانيين كان لهم تكوينا ثقافيا بسيطا، لكن مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم، يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر أنه امتاز بقلة الإنتاج الثقافي، واقتصر هذا الأمر في عدد من المدن الجزائرية، التي توارثت وحافظت على هذا التراث الفكري ...»[3] إن استقالة الحكام العثمانيين وعدم اهتمامهم

1– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 272.

2– أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1973، ص477.

3– يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 . د. م. ج ، الجزائر، 1965، ص 165.

بالجانب الثقافي بقصد أو بدونه، دفع المجتمع الجزائري الى حمل لوائه ونشره بين الأوساط الشعبية.

حيث يقول "سعد الله" بأن المجتمع الجزائري حمل على عاتقه نشر التعليم متأثرا بعوامل خارجية في مقدمتها هجرة الأندلسيين الذين طوروا ميدان التعليم وقواعد اللغة العربية والآداب والعلوم والموسيقى... إن مشعل العلم تكفل به الجزائريون رغبة منهم في ازدهار الثقافة والمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي، كما كانت دُور العلم تُمَوَّل من إيرادات الأملاك الموقوفة من أعمال الخير والإصلاح، وليس من خزينة الدولة ... ، كما حرص عدد كبير من التلاميذ من ميسوري الحال التزود بالعلم من مصادر خارجية، فهاجروا إلى مراكش، فاس، تونس، مصر والحجاز والتقوا بعلمائها ونهلوا العلوم على أيديهم، وعند عودتهم إلى الجزائر، ينالون حظوة كبيرة، إذ يقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة، وغالبا ما يجمعون بين وظيفة التدريس ووظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء[1].

1.4. الكتاتيب: ما بين القرن 10-11هـ / 16م - 17م وجدت في مدينة الجزائر مدارس تعرف بالكتاتيب تؤدي نفس المهمة التي تقام في المساجد والزوايا وهي التعليم، حيث تحدث "الجامعي الفاسي" في رحلته عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر فقال :..... وقد كان بهذه الحضارة نحوى 100 كُتَّاب ملء بالأولاد، حيث أن المحل الذي لا يتسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج. يتعلمون القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن العظيم وحفاظه كثيرون .... »[2] كانت مهمة هذه الكتاتيب استظهار كتاب الله عز وجل، وهي أول

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص163- 165.

2- مولاي بلحميسي، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، العدد 8، الجزائر، 1982، ص 26.

محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية على اللوح المصلصل[1] بقلم القصب، وتكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء والدكاكين والمساجد التي تقام فيها الصلوات الخمسة[2].
لقد بين "سعد الله" كيفية التعلم بالنسبة للتلاميذ وهم في الكتاب قال: « وكان الأطفال يجلسون على زرابي، وحصائر، وهم في شكل متربعين، والملاحظ في هذه الكتاتيب أنه لا يوجد تميز بين ابن القاضي ولا بين ابن الحرفي، فكلهم متساوون، ويجلسون في وضع واحد، ولمعاقبة الأطفال الذين لا يجتهدون في التعليم، تستعمل الفلقة، بحيث كانوا يُضربون على أقدامهم بواسطة عصي خشبية، وكان الهدف من استعمال تلك العصي في الإبقاء على النظام، وجلب الانتباه بالدرجة الأولى، وقليلا ما كانت تستعمل للعقوبة، فقد كانت العلاقة بين المؤدب وطلبة العلم، علاقة احترام الصغير للكبير وهو مبدأ سائد في المجتمع كله، إلى جانب احترام حفظة القرآن، فقد كان الشيخ أو المؤدب بمثابة الأب للتلامذة»[3].

2.4. المدارس والمعاهد: لقد ذكر أحمد مريش إلى جانب كل ما ذكرناه حول مراكز التعليم بالجزائر أن هناك كذلك مدارس الابتدائية التي لا يخلوا حي من الأحياء منها ولا قرية من القرى في الريف، وكانت منتشرة بين أهل البادية والجبال الثانية، وهذا ما جعل جميع الذين جاءوا إلى الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس، وانتشار التعليم بها[4]،

1- مُصَلْصَل: مصدر صَلْصَال: طين يابس لم تصبه النار قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ سورة الرحمان الآية 14. صخر طيني يحتوي على مادة لاحمة هي السليكا ، يتميز بشدة لزوجته عند البلل، كان حجر الصلصال يمحى به التلميذ لوحته بعد كتابة وحفظ مجموعة آيات وعرضها أمام شيخه، بحيث يبلل ويمرر على اللوح ثم يترك ليجف لإعادة كتابة آيات قرآنية جديدة انظر: ابن منظور، لسان العرب، د.ط، ج8، دار صادر، ص273.

2- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 272.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 246.

4- أحمد مريش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الجزائر، 2007 ص 15.

وأما بالنسبة لندرة الأمية بين السكان، كانت دور الأوقاف تلعب دورا هاما في انتشار المدارس ونشر التعليم[1].

وقد عرف "أبو راس الناصري" المدرسة بقوله: « المدرسة المتعارف عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه»[2] وقد وجدت المدارس في مختلف حواضر الجزائر، فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي على 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ، منها المدرسة القشاشين التي أشاد بها أبو راس الناصري واعتبرها مركز للتعليم العالي، أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر، فقد عرفت هي الأخرى إشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتانية عام 1190هـ/ 1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاما خاصا[3].

كما أنه أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا و كتابا ومكتبة، وقد قدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين ب 90 مدرسة، ويذكر آخرون أن عددها كان 86 مدرسة ، يدرس بها 1350 تلميذ، أما مدارس تلمسان فقد بلغ عددها حسب إيمريت 50 مدرسة صغيرة مخصصة لـ 2000 أو 15000 نسمة، بالإضافة إلى مدرستان للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام، وقد استفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير، وهذا لتدعيم وتنشيط الحياة الثقافية[4]، حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من أكبر مدارس بايلك الغرب،

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 274.

2- أبو راس الناصري، المصدر السابق، 2011، الجزائر، ص 91.

3- نور الدين عبد القادر، نفس المرجع السابق، 213.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 276.

وقد أشار إليها أبو راس الناصري في حديثه عن المدارس[1]، و وصفها "ابن سحنون" قائلا في الثغر الجماني: « كاد العلم أن يتفجر من جوانبها»[2].

مدينة مازونة كانت هي الأخرى قبلة للعلماء والطلبة الوافدين عليها باعتبارها قطبا من أقطاب طلب العلم، حيث يقول "بلحميسي"، أما مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية والتي شيدت نهاية القرن 9هـ / 16م من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي، ويواصل القول حول المدرسة المازونية، حيث كانت ملتقى العلماء ومقر للمبادرات الفكرية وقد درس بها عدة علماء بارزون أمثال أبوراس الناصري، ويضيف سعد الله أن مدارس مازونة قد اشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه والحديث وعلم الكلام[3].

وعليه يشير بعض المؤرخين إلى وجود جامعات وعدَدها ثلاث جامعات بمدينة الجزائر، إلى جانب كثرة المدارس والكتاتيب، إلا أن سعد الله لا يعتبرها في الواقع جامعة بالمعنى الصحيح لأنه لم يكن يوجد بها مدرسة للتعليم العالي تضاهي الأزهر والقرويين والزيتونة[4].

3.4. المكتبات: لقد لعبت المكتبات في العهود السابقة نفس الدور الذي تلعبه حاليا، إذ هي المركز الثقافي والمعلوماتي الذي يعكس تراث أمة وتطورها العلمي والأدبي والفني. أما في العهد العثماني بالجزائر يذكر سعد الله أن الجزائر كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، كما أن الكتب كانت تنتج محليا عن طرق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج كالحجاز، مصر، إسطنبول والأندلس، ويقول أيضا أن قد وُجِد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، وإن تلمسان وبجاية وقسنطينة لخير دليل على صناعة الكتاب، من حيث التأليف والنسخ، والجمع، بدرجة عالية .... كما أن للعلماء الفضل الكبير في جلب الكتب

1- أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص 78.
2- أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 127.
3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 285.
4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، نفسه، ص 273.

المتنوعة من أماكن بعيدة، ويضيف أيضا أن كل من القضاة والدراويش عند مجيئهم إلى الجزائر اصطحبوا معهم مكتباتهم، وأوراقهم ووثائقهم، ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي، ونسخ من صحيح البخاري، وكتب الأدعية والأذكار الصوفية[1] يذكر بلحميسي نقلا عن علي محمد التمكروني قوله « وطلبة العلم فيها لا بأس بهم .... والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا ...»[2]، محتوى المكتبات في معظمه عبارة عن رصيد للعلوم الدينية، منها التفاسير، الأحاديث الدينية، فقه الأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية، إلى جانب العروض والبلاغة، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة فكانت قليلة، وبالنسبة لكتب الحساب والطب والفلك أقل من قليل[3]، كانت المكتبات في الجزائر مقسمة إلى:

1.3.4. المكتبات العامة: وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، يلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة، وهي مكتبات وفقا على المساجد والزوايا والمدارس[4].

2.3.4. المكتبات الخاصة: هي مكتبات لم تكن متغيرة من حيث وظيفتها مقارنة بالمكتبات العامة، فهي خاصة بالمطالعة والبحث ولكن في إطار العائلات العلمية، والأعيان الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها[5].

كانت الكثير من المخطوطات معرضة للضياع وغير آمنة، سواء نتيجة الإهمال، النهب والتهريب، والحروب المستمرة بين الجزائريين من جهة، ومن جهة أخرى الحروب مع الأجانب، .... كإتلاف مكتبة الشيخ "أبي راس الناصري" و "أحمد بن سحنون الراشدي" بعد

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص 286-287.
2- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، شون ت الجزائر، 1997، ص59.
3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 288.
4- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 60.
5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 326.

قصف مدينة الجزائر من طرف أساطيل الدول الأوروبية، وكذا إهمال مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة، حيث سمح للعلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر، ..... وجد عند الشيخ "محمد بن ميمون" 40 كتابا من مكتبة الجامع الكبير، إضافة إلى ذلك أصحاب المكتبات كانوا يوصون بحمل مكتباتهم إلى الخارج بعد وفاتهم، ويضيف سعد الله أن المكتبات في الريف لم تكن تختلف عن المكتبات في المدينة حيث كان لها أهمية كبيرة في أنحاء البلاد كمكتبة ميزاب في بني يزقن، حافظ عليها أصحابها كعائلة "التميمي" و"وأطفيش"، ومكتبة زواوة و ورقلة وبجاية والخنقة، كل هذا يدل على وفرة الكتب في الجزائر النائية ...[1]

بالرغم من سياسة العثمانيين الغير المشجعة للوضع الثقافي بالجزائر، فإن الجزائريين لم يمنعهم الفضول العلمي والفني في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي والإنساني من الاهتمام بالمكتبات وثرائها بالكتب والمخطوطات، والحفاظ عليها بشتى الوسائل وحملها الى أماكن آمنة أو إعادة نسخها يدويا لتبقى للأجيال القادمة.

لقد لعبت المؤسسات التعليمية سواء كانت المساجد الزوايا، الكتاتيب أو المدارس بدورها التاريخي في نشر الثقافة العربية الإسلامية و بالرغم من دعم عدم الدولة العثمانية لهذا المجال، حمل أهالي الجزائريين هذا الدور كاملا، ورياديا في دفع دقة المعرفة العلمية إلى الأمام و تخصيص أموال كبيرة من الأوقاف، لبناء المؤسسات التعليمية والثقافية وتسوية أجور المعلمين، حيث تنوع المؤسسات الثقافية من حيث عددها وكثرة مهامها، مما جعل الأجانب ينبهرون لذاك انعدام الأمية في أواخر العهد العثماني) إلا أن في الواقع ظل التعليم يعاني من الطابع التقليدي، والذي لم يواكب التطورات الأوروبية آنذاك.

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 310.

ومن خلال هذه الإطلالة المتواضعة على المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني يمكن أن نستنتج أن هذا التراث الكمي المعرفي لا زال دفين المكتبات العامة والخاصة إلى يومنا الحاضر، ينتظر من ينفض عنه الغبار من أجل إنتاج معرفة تاريخية جديدة ترفع بها رصيدنا الأكاديمي.

2. أهم العلوم والعلماء:

1.2. العلوم النقلية:

1.1.2. العلوم اللغوية (العلوم اللفظية): وتتمثل في اللغة العربية وآدابها إضافة إلى الشعر.

- **الأدب:** كان إنتاج اللغة العربية ينحصر في الموضوعات الدينية والتعليمية وقليلاً من الشعر، وهذا لضعف العربية الفصحى بين الناس، خاصة وأن الدولة اتخذت اللغة التركية لغة رسمية، وبهذا كان المجال مفتوحا إلى ما يسمى بالأدب الشعبي وهذا نتيجة لضعف الثقافة العربية[1]، كان الأدب الجزائري منحطا إلى أسفل الدرجات، وكانت اللغة العربية هي اللغة الأولى في الجزائر)[2] حيث أصبحت معالم الأدب في هذه الفترة سطحية الموضوعات وتميزت بركاكة التعبير وانحطاط اللغة التي جمعت بين العامية المبتذلة والفصيحة المهجورة[3]، ومن بين الأدباء نجد "محمد ابن رأس العين" أديبا مشهورا له عدد من الكتب، والوسائل الرسمية، الخطب، عقود الزواج، التعازي، القصص، وكذلك الشروح الأدبية التي كانت تتناول قصائد ومقامات ذات الطابع اللغوي والبلاغي، وكانت هذه الشروح تعطى

1- أحمد مريش، المرجع السابق، ص32.

2- اسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص14.

3- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"، المرجع السابق، ص157.

للأدباء مكانا لعرض محفوظاتهم وذوقهم الأدبي، وهي تعكس ثقافة العصر الذي شاع أواخر العهد العثماني[1].

ونجد أن الجزائريين اهتموا بالنحو وتركوا فيه إنتاجا طيبا، وكان يعتنى به الكبير والصغير، ولقد عرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو و بعض الشروح وإدراك مسائلها عن ظهر قلب، وتركوا تآليف كثيرة في النحو، كما أنهم كانوا يقومون بتدريسه في المدارس[2].

– **الشعر:** لقد تعددت مواضعه وبواعثه، من شعر ديني، سياسي واجتماعي، أو ما أوحت به النفس والذات، بالإضافة إلى الشعر الملحون ، أو ما يسمى الشعر العامي، الذي أصبح لسان كثير من الناس[3]، وهناك إشارة أخرى أن المجتمع الجزائري وخاصة المدن الكبرى كانت مسرحا لتيارات عديدة أوربية إسلامية شرقية وأندلسية، قد عرفنا أن الخمر كانت رائجة وأن بيوت الحنا[4] كانت موجودة وأن الفساد الاجتماعي والأخلاقي كان منتشرا، كما شاعت القهوة والدخان، تجارتهما مربحة للغاية، يضاف إلى ذلك وجود الأسيرات كعنصر جديد على الحياة الاجتماعية[5]. كل هذه الموجودات دفعت الشعراء إلى نظم الشعر في مختلف أغراضه، وحتى عدم اختلاط المرأة الحرة برجال الشعراء هذا لم يمنعهم من استعمال الرموز والتصريح في غزلها العفيف أو الماجن، إلى جانب بعض الشعراء تغزلوا بالذكور، ما يبعث على المجنون والانحلال الاجتماعي خلال العهد العثماني[6]، وعليه سنعرج على بعض أغراض الشعر الأكثر انتشارا في تلك الفترة.

1– محمد الطمار: تاريخ الادب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص 314.
2– ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق ص 34.
3– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 247.
4– **بيوت الحنا:** بيوت الفُحْش (الدعارة) من خلال لسان العرب، الحنا هو الفحش.
5– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 249.
6– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفسه، ص 205.

الشعر الديني (الصوفي): كان للدين أهمية كبيرة لدى الجزائريين في الفترة العثمانية، واهتموا به، ولقداسته مجّدوه وعظموه، وهذا من خلال أشعارهم حيث نجد أن شعراء الجزائر نبغوا في الشعر الديني ولا سيما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والتشوق إلى زيارة قبره واحياء مولده[1]، وقاموا بمدح ورثاء الأولياء الصالحين، وهذا يعتبر من أقدم الأغراض الشعرية، وتذكر العديد من المراجع قصيدة في مدح المدينة المنورة اسمها "طيبة" قالها الشاعر الصوفي " أبو محمد عبد الله بن عمر البسكري" ومن بين الذين ذكروها "ابن عمار" في كتابه "الرحلة" وابن سحنون في كتابة "الأزهار الشقيقة" ويذكر المقري في كتابة "نفح الطيب" نماذج من المديح النبوي قالها الشاعر "محمد بن محمد العطار الجزائري" وهذه القصيدة تضك عشرون بيتا في المدينة المنورة.

وعموما كان للشعر الديني بالجزائر أهمية كبيرة سواء في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو كان شعرا صوفيا، وشعراؤه كثر[2].

شعر الجهاد: هو نوع من أغراض الشعر السياسي والعمود الفقري للعاطفة الدينية، ويقصد به مجابهة غير المسلمين، وفي هذا الصدد إذ كان العثمانيون قد ساعدوا الأهالي في صد الاسبان من المدن الساحلية على غرار مدينة الجزائر، وبقي مستمرا في ظل وجود الاسبان إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، رمزا للجهاد والدعوة إليه، وقيل هذا النوع من الشعر في تهنئة الحكام بالنصر، أو تحريض العامة على المقاومة لرد العدوان[3].

1- ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، تح: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 259.

2- محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 122.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 265.

3.2. الشعر الوطني: هو نوع من الشعر الذي تغنى به الشعراء في العصر العثماني بمدينة الجزائر، ومن بين أهم الشعراء في هذا الغرض "أحمد بن سحنون" و"أبوراس الناصري" و"الطيب المازوني" وغيرهم ، كما أن " محمد المستغانمي" نظم قصيدة كان عنوانها " الكوكب الثائر في مدح أمير الجزائر" ويعني بها أيضا الوطن[1].

4.2. الشعر الاجتماعي: وهو الذي يشاطر فيه الشعراء بعضهم في مناسبات معينة، وبضم شعر الرثاء والتقريض والمدح لغير الأمراء ورجال الدين، وشعر المجون، وكان فيه شعراء يتبادلون المدح والهجاء والفخر والرثاء[2]، وكانوا محدودين جدا رغم العاطفة القوية التي يتميز بها أفراد المجتمع، وتجد أيضًا شعر المجون حيث كان قليلاً لان المجتمع كان منغلقا تقل فيه الطرف والنكت والشعر الخفيف[3].

3.1. النثر: ويشمل كل من المقامات، الرسائل الرسمية، عقود الزواج، الشروح الأدبية، الإجازات وغيرها. فكانت هذه الأغراض متفاوتة الاهتمام بين الأدباء في العهد العثماني، حيث عرف هذا العهد إصلاحات علمية وأدبية بارزة الوضوح بسبب جمع العلماء من حولهم وتشجيعهم بالعطاء وتقربهم إلى مجالسهم واستحسان إنتاجهم وتقديره.

وما يلفت الانتباه في الأدب العثماني بالجزائر، شرح الأعمال الجاهزة، كشرح لقصيدة نظمها الشارح بنفسه أو قصيدة أو عمل آخر لغيره، وخاصة في مسائل النحو والصرف، المواعظ والحكم، ومن أشهر من سلك هذا المجال: أحمد بن سحنون الراشدي: "أبوراس الناصر" في شرح قصيدة "سعيد المنداسي" (العقيقة)، وشرح (لامية العجم) لأحمد بن القاسم

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص267.

2- على بوملجم، في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، د.ت، ص 88.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 308.

البوني، وشرح المواعظ والحكم والحلل الحريرية لـ "أبي راس الناصر" وشرح الشواهد النحوية لـ "أبي يعلى"[1].

2.1.2. العلوم الشرعية: كما يعرفها ابن خلدون هي "تلك التي تستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي، وتشمل: التفسير، القراءات، الحديث، علم الفقه، علم الفرائض وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها"[2]. وقد اعتمد في تدريس هذه العلوم على التلقين، كما لم تكن مناهج محددة تنظم كمية المعلومات التي يتلقاها المتعلم.

أهم ما تميزت به العلوم الشرعية هو التكرار والحفظ، والفقهاء كانوا يقلدون سابقيهم تقليد يكاد يكون أعمى، فإذا ما حاول أحدهم أن يشد هذا التيار أقاموا عليه الدنيا وأقعدوها، واجتمع عليه المجلس الشرعي الذي كانت تتدخل فيه الدولة. مع ذلك حاول بعض الفقهاء تحطيم هذا الجدار[3]، فظاهرة التقليد كانت مسؤولة عن ندرة الإنتاج في العلوم الشرعية التي تحتاج إلى ثقافة عميقة.

– **التفسير:** يحتاج مفسر القرآن إلى ثقافة دينية ولغوية قوية لكي يقدم على عمله، وهذا لم يتوفر في الجزائر أواخر العهد العثماني، فمجال الثقافة كان محدودا، ومن بين الذين اشتهروا بذلك "محمد بن علي أبهلول" و "عبد القادر الراشدي القسنطيني" و "أبو راس الناصري" ومن الطبيعي أن نقول أنه ليس كل من تناول التفسير أجاد أو جدد فيه، ذلك أن ظاهرة التقليد كانت مسيطرة على العلماء في جميع الميادين[4]، ومن جهة أخرى فإن الوثائق تعوزنا في الوقت الراهن عن الطريقة التي كان يستعملها أمثال أبهلول الراشدي أثناء درس التفسير، فقد روى سعيد قدورة أن شيخه قد وصل في تفسيره إلى سورة الإسراء والظاهر أن الشيخ كان

1– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 180.

2– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، د.ط، بيروت، لبنان، ج2، ص 100.

3– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ص393.

4– صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية، المرجع السابق، ص31.

يسجل باللسان لا بالقلم، في حين أن البعض كان يتناول التفسير تدريسا، أمثال عبد القادر الراشدي القسنطيني.

وهكذا ازدهرت العلوم الشرعية في الجزائر أواخر العهد العثماني، وذلك راجع إلى طبيعة التكوين الديني عند الجزائريين، وهذا من خلال كثرة المراكز الدينية كالمساجد والزوايا

– **علم القراءات:** رغم قلة التآليف في القراءات كغيرها من العلوم في العهد العثماني، الا أن الجزائريين قد استمروا بتدريس القراءات، وهي أحد علوم القرآن والتي نعني بها من الناحية اللغوية جمع قراءة، وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي "قرأ" يُقال قرأ، يقرأ قراءة وقرآنا بمعنى "تلا" فهو قارئ، وقرأ الكتاب قراءة وقرآنا أي جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها لقوله تعالى: إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرآنَه"[1]. أما من الناحية الاصطلاحية اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تحقيق أو تثقيل بحسب اختلاف لغات العرب[2].

وتنقسم القراءات إلى قسمين: القراءة المقبولة هي كل قراءة صح سندها ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وأيضا القراءة المردودة هي كل قراءة اختل فيها أحد الضوابط المتمثلة في ضابط السند وضابط المتن[3].

لقد اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها ومن بينهم تذكر: "الشيخ محمد بن مزيان التواتي" وأيضا "عبد الله أبو القاسم"[4].

1- سورة القيامة : الآية 17.

2- عبد العزيز المريني، مباحث في علم القراءات، ط1، دار كنوز، المملكة العربية السعودية، 2011، ص16.

3- رحمة قليل،" العلوم الدينية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحور المتوسطي، ع1، مج 12، سيدي بلعباس، الجزائر، 2021 م، . ص 421.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 21.

وقد تثقف في الجزائر عدة علماء من خارجها في علم القراءات أمثال الشيخ العالم "التونسي أحمد بن مصطفى برنار" وأيضًا أبي الأزهر عن ورش.

إن التأليف في القراءات خلال هذا العهد كان أقل من التفسير، ويبدوا أن جل اعتماد علماء الجزائر حينئذ كان على مورد الضمان بالخراز المغربي وعلى شرح محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، فقد ألّف كتاب سماه "الطراز في شرح الحراز"[1].

- **علم الحديث:** يعتبر من أهم العلوم التي أنتج فيها الجزائريون في العهد العثماني، ونعني به من الناحية اللغوية الخبر والجديد وهو ضد القديم، ويطلق ويُراد به كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقضته أو منامه وبهذا المعنى نسمي القرآن حديثا[2].

والحديث في الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو سيرة أو أضيف إلى الصحابي التابعي[3].

وتتجلى أهميته في كونه من أهل العلوم قدرا وأعلاها منزلة، وكان الناس مقبلين على قراءة جامع البخاري، كما اعتنوا به كل عناية، فهو الكتاب الذي كان متداولا لديهم أكثر من غيره، وقد بلغ عند بعضهم مبلغ القداسة فكتبوا عليه الشروح والحواشي، ويعود سبب اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث إلى ولعهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتبار الحديث الشريف ثاني مصدر بعد القرآن الكريم مع ضرورة الحفاظ عليه من أي زياده أو نقصان أو تحريف[4]، لهذا شهد علم الحديث هو الآخر اهتماما بارزا من قبل العلماء خاصة في هذه الفترة، فقد

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 120.

2- محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، دار الفكر، دمشق، ص7.

3- سيد عبد الماجد الغوري، الضوابط الأساسية لفهم الحديث النبوي، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2019م، ص 12.

4- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي، دمشق، 2007م، ص177.

أنتج الجزائريون في علم الحديث ومصطلحه واعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، والسبب يعود إلى صلة علم الحديث بالدين والتصوف معا، كما يعود إلى كون علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ وهم حفاظ مهرة[1].

ومن أشهر مؤلفي الحديث نذكر "أبو راس الناصري" الذى بلغ عدد مؤلفات ثمانية مخطوطات.

- **علم الفقه:** كان في المقام الثالث بعد القرآن الكريم وصحيح البخاري، وقد انتشر في الجزائر خلال العهد العثماني بما يشمل عليه من أصول وفرائض وفتاوى ويعرف من الناحية اللغوية العلم بالشيء، والفهم لقوله تعالى: "لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا"[2].

يعرف ابن خلدون الفقه: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة وهي مأخوذة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[3]

كثرت المؤلفات الفقهية بالبلاد خلال الفترة العثمانية، في ظل وجود مذهبين: الحنفي الخاص بالعثمانيين، والمالكي الخاص بالسكان الأصليين، لاسيما هذا الأخير الذي برع فيه علماء أجلاء، وكان المذهب المالكي أكثر انتشارًا وكان العلماء يدرسون ويؤلفون وفق آراء الإمام مالك الواردة في كتاب "الموطأ" و"المدونة الكبرى" و"مختصر المدونة" لأبي سعيد البراذعي و"مختصر ابن الحاجب" وكانت مدرسة مازونة متخصصة في الفقه حيث لعبت دورا حاسما في نشر الفقه المالكي ببلاد الجزائر.

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 25.

2- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 19.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص01.

2.2. العلوم العقلية:

العلوم العقلية في تلك العلوم المرتبطة بأحكام العقل، فهي طبيعة لإنسان من حيث هو ذو فكر، تسمى العلوم الحكيمة[1].

1.2.2. الحساب: إذا عدنا إلى دراسة الإنتاج العلمي خلال العهد العثماني، وجدنا منه الذكاء والموهبة الفطرية، ويخضع لمبادئ جوهرية وفرضيات قابلة للتغيير عند التوصل إلى نتائج جديدة، إلا أننا نجد أن هذا العلم يكاد يختفي من الساحة الفكرية لولا بعض أعمال بعض المؤلفين البارزين أمثال "عبد الرحمن الأخضري" الذي نظم خمسمائة بيت في هذا المعنى سماه (الدرة البيضاء)[2]، وقد ذكر "عبد الكريم الفكون" أن عبد اللطيف المسبح القسنطيني" أكمل شرح القسم الأول والقسم الثالث منه، وتعتبر الدرة البيضاء من أهم الأعمال التي قدمها الأخضري لعلم الحساب.

كما أننا عثرنا على أرجوزة[3] في الحساب لصاحبها "علي بن عبد القادر" " حيث وضعها في ثلاثة عشر ورقة، كلها في الجبر، خصها بموضوع الكسور لتسهيل حفظها على الطلبة واستيعابها، وخاصة بعد تفشي ظاهرة النفور من الرياضيات.

ويعد "ابن حمادوش" من الذين اهتموا بالحساب، غير أنه لم يجتهد فيه.

2.2.2. الهندسة: لم نعتر على وثائق تؤكد اشتغال الجزائريين خلال الفترة العثمانية بهذا العلم، إلا أن ما ورد في رحلة "ابن حمادوش" عندما أشار أن له تأليف في الساحة والهندسة بقوله: "وفي يوم الخميس عشرين من صفر، ألّفت فتح المجيب في علم التكعيب، وسببه

1- جميل صليبا، المرجع السابق، ص100.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 418.

3- علي بن عبيد القادر، أرجوزة النظم الغريب في بسوط الكسور، مخطوط مجموع بالمكتبة الوطنية بالحامة، تحت رقم 2066، الورقة 1.

أنني كنت أطالع من تأليف النصارى فوقعت على مسألة من علم التكعيب فأعملت فكري حتى أخرجتها، ثم بدا لي أن أولف فيها"[1].

3.2.2. علم الفلك: من بين دلائل اهتمام الجزائريين في العهد العثماني بعلم الفلك، حفظ ودراسة أرجوزة "علي ابن أبي الرجال القيرواني"، وشرح " ابن قنفد" عليها، حيث كانت هذه القاعدة الفلكية تدرس في حلقات العلم، إلى جانب منظومة "الحباك بغنية الطلاب في علم الاسطرلاب"[2]، التي شرحها تلميذه "محمد بن يوسف السنوسى"، ضف إلى هذا فقد ظهرت حركة نسبية نوعا ما في التأليف في علم الفلك والنجوم في هذا العهد، حيث نظم أحد الجزائريين أرجوزة سماها "تعديل الكواكب لعرض بلد الجزائر"، كما وضع "عبد الرحمن الأخضري" نظما سماه "السراج في علم الفلك" الذي يعتبر من أهم الأعمال في علم الفلك رغم أن الأخضري لم يضع عليه شرحا وافيا، فقام تلميذه "عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي"[3] بشرحه شرحا نادر الوجود، وبعد أن اطلع عليه "سحنون بن عثمان الراشدي الونشريسي" نقل عنه وأضاف إليه بعض الاستنتاجات في شرح سماه (المفيد المحتاج في شرح السراج).

كما أن هناك مؤلفين ساهموا في هذا المجال كـ "علي بن محمد بن على البحائي" (بكتابه تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهى) و"عبد القادر الراشدي القسنطيني" في (مستعاب الميدان في إثبات وجه الوزن وآلات الميزان) و "علي بن حسن الجزائري" في رسالة في الفلك سماما (الحاشية الاختصارية الرملية الفلكية). وهذا عن ميدان الفلك والتنجيم الذي تأرجحت التآليف فيهما بين النقول والشروح والتأليف.

1- عبد الرزاق ابن حمادوش، كشف الرموز في بيان الأعشاب ... ، ص 265.

2- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج 3، المرجع السابق، ص 189.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 418.

4.2.2 الطب: عرفت العلوم الطبية اهتماما واسعا مقارنة مع علم الفلك، ذلك أن الإنسان كان في حاجة إلى المعالجة، يقول ابن خلدون: "إن الطب صناعة تنظر في بدن الإنسان[1] من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها على حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من البدن، وأسباب تلك الأمراض التي ما تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، أو على العلامات المؤدية لنصحه وقبوله الدواء، غير أن هذا العلم الجامع لم يلق العناية اللائقة به خلال العهد العثماني ربما لانصراف بعض العلماء عنه الدراسة علوم أخرى، أو لسيطرة فكرة القضاء والقدر في هذا الميدان على عقول الناس، واتجاه البعض الآخر للتداوي بالأعشاب الطبيعية للمحافظة على الصحة، أما أولئك الذين يؤمنون بالحديث "العلم علمان، علم الأديان وعلم الأبدان"[2]، ويمكن القول أن جل علماء الجزائر كانوا مطلعين على علم الطب والمعالجة وكيفية استعمال الأعشاب الشافية عند نزول بعض الأمراض.

وبشكل عام فإن الحكومة لم تكن تهتم بالطب ولم تهم بتشييد مراكز له، فقد كانت تلجأ لحفظ الصحة إلى الحجر الصحي[3].

1- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار، ج3، ص100.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 423.

3- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة، دار المعرفة، الجزائر، 2006، 179.

3. مساهمة الحكام في الحياة الثقافية وانعكاساتها على المجتمع الجزائري

1.3. الحكام ودورهم في الحياة الثقافية

1.1.3. أهم الحكام المشجعين للثقافة:

أ- الداي محمد بكداش:

هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد عربي الأصل ينتمي إلى آل البيت وسماه والده بكداش تيمنا بشيخ البكداشية[1].

نشأ محمد بكداش نشأة علمية دينية، فكان يدرس العلم وينظم الشعر بالعربية ويخطب بها ويتقرب للعلماء كثيرا، لذا وصفه كل من كتب عنه بعالم الأمراء وأمير العلماء[2]، بعد قدومه إلى الجزائر من أناضوليا 1674م، التحق أول الأمر بالجندية بعدما ترقى في عدة مناصب حكومية كحامل راية العسكر وموظف لتقسيم الخبز على الجند ليترقى سنة 1705م ويصبح دفتردار (كاتب عام)، ثم عين دايا على الجزائر 1707م[3]، كما أنه تصدى للإقراء مرار.[4] وتولى خطابة بعض مساجد مدينة الجزائر عام 1692م[5]، لكن حساده وشوا به لدى الباشا الذي نفاه إلى طرابلس الغرب ثم إلى تونس و لما تولى الحكم أحاط نفسه بالعلماء والشعراء والأدباء بمدينة الجزائر. كما كانت له صلة مع عائلة البوني وكذا أغلب علماء قسنطينة

1- الجيلاني، المرجع السابق، ص 207.

2- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1676، ص 453.

3- أبو القاسم سعد الله، أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، العدد 51، 1979م، ص 16.

4- المدني، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 453.

5- الجيلاني، المرجع السابق، ص 208.

وتلمسان، وربما لهذه الأسباب ظهر التفاف الناس الكبير حوله وتوحدهم هم والعلماء بهدف الجهاد خاصة بعدما شاع عند عزمه على ذلك[1].

ويتجلى دوره في الثقافة أكثر من خلال تأسيسه لزاوية الأشراف التي خصص أجورا للقائمين عليها من مدرس وإمام ومؤذن وحراس، كما عين لها وكلاء لرعاية شؤونها[2]، وبالرغم من تقربه من العلماء و مجالستهم، فهذا لم يمنعه من قتل ولدي المفتي الشهير سعيد قدورة[3]، ولم يسلم هو كذلك من القتل بعدما عجز عن دفع أجور الجند وهذا بسبب تأخر باي قسنطينة في دفع الدنوش[4].

ب. الباي محمد الكبير:

الباي محمد بن عثمان بن إبراهيم الكردي أو الباي محمد الكبير كما هو شائع عنه، عالم من علماء الدين في الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن الثامن عشر، إذ حكم بايلك الغرب بصفته بايا من 20 جمادى الثانية 1193هـ إلى 25 جمادى الأولى 1212 هـ ما يوافق جويلية 1779 م إلى نوفمبر 1797 م، وتميز عن بقية البايات بأعماله التي عبرت بوضوح أن الرجل كان مسايرا لمشروع حضاري تغذيه حركة إصلاحية في الفترة 1766م- 1791م، ويبرز دوره الكبير في تشجيع الثقافة وبعثها من جديد بإنشائه المدارس والمساجد خاصة، فبنى مدرسة بمعسكر وسماها المحمدية نسبة إليه وقد جهزها بكافة الوسائل الضرورية من مكتبة وقاعة للمطالعة وكل المرافق الضرورية وبفضل إصلاحاته عرفت معسكر التعليم من خلال إصلاحاته العديدة على مستوى تنظيم

1- بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية (1547م – 1791م)، ط2، دار النفائس، بيروت، ص 119.

2- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 120.

3- الجيلاني، المرجع السابق، ص 216.

4- الدنوش: هو نظام ضريبي فرضه الأتراك على مناطق البايلكات الثلاثة لصالح خزينة الإيالة، فيجتهد حكام الأقاليم للحصول على أكبر قدر ممكن من الضرائب حتى ينالوا شكر ورضا الباشاوات. للمزيد ينظر، توفيق دحماني، دراسة في عهد الأمان، الدار العثمانية الجزائر، 2009م، ص 152.

التدريس، ليتخرج من هذه المدارس عدد هام من الطلبة والعلماء[1]، وبهذا فإن أعماله الحضارية لم تقتصر على مدينة معسكر فحسب بل امتدت مشاريعه الثقافية إلى وهران أيضا، التي بنى بها مسجدا يعد من أكبر مساجد المدينة كما استفادت تلمسان هي الأخرى من إصلاحاته الحضارية[2]، كما عمل الباي محمد الكبير على استمالة العلماء وتقربهم حيث كانت جلساته لا تخلو من العلماء والأدباء والشعراء، ومجالسه تضم العديد منهم خاصة في المناسبات، وقد عبر ابن سحنون عن هذا فقال: .... في الأعياد فإنه كان يضم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة المؤذنين والمؤدبين والمدرسين[3]، إضافة إلى الهدايا والمنح التي يقدمها لهم في المناسبات والأعياد[4]، كما اهتم الباي بتدوين الأحداث التاريخية خاصة تاريخ وهران وبايلك الغرب بتشجيعهم للعلماء والكتاب، فكان يأمر بنسخ الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة، كما شجع الباي الكتاب على التأليف وفي شتى المعارف حتى أنه كان يقترح المواضيع أحيانا، حيث كلف كاتبه مصطفى بن "عبد الله ابن زرقة" بتدوين أحداث الجهاد عند فتح وهران الثاني، فألف الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية[5]، كما أمر ابن رقية التلمساني[6] بتدوين أحداث حملة "أوريلي" على الجزائر عام 1775م فألف الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها الجنود الكفرة[7]، وتشجيعا منه للحركة العلمية قام بإرسال بعثات علمية للشرق خاصة الأزهر، وكان يمدهم سنويا بالإعانات[8]، وكان الباي يستشير

1- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 135.

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 135.

3- ابن سحنون، المصدر السابق، من 143.

4- ابن هطال، رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تح: محمد بن عبد الكريم، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 26.

5- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 146.

6- و هو مؤرخ، فقيه من أهل تلمسان، بها نشأ وتعلم، من آثاره الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها الكفرة. وصف فيها حملة الإفرنج على الجزائر من زمن خير الدين إلى سنة 1189هـ، ترجم إلى اللغة الفرنسية و طبع سنة 1841هـ.. للمزيد ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 82.

7- صالح فركوس، الباي محمد الكبير، المرجع السابق، ص 25.

8- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 147.

العلماء في القضايا الهامة وينزل عند رغبتهم بحيث عفا عن المتعاونين مع الإسبان وهذا بإشارة من العلماء[1]، ومن شدة احترامه للعلماء كان لا يسيء إلى الأهالي أثناء حملاته إذا تقدم العلماء كوفد عنهم، فكان يفرض عليهم الضريبة السنوية فقط، ولما أراد دخول مدينة الأغواط خاف من عاقبة ما سيحدثه جنده خاصة بالعلماء، فكتب لهم كتابا يحذرهم من الإساءة لهم، وسأل الله أن لا يحصل هلاك واحد منهم على يديه[2].

من هنا يمكن القول أن إصلاحات الباي كانت أكبر حافز للنهوض بالحياة الثقافية وحسب "الزياني" فإن اهتمامه بالثقافة يرجع إلى شخصيته المثقفة، حيث كان فصيحا يحب المطالعة التي كان يُفرغ لها أوقات راحته، كما كان يحب المجالس والمناظرات العلمية ويمارس الطب بنفسه حتى لقب بطبيب الفقراء[3].

1. مساهمة الحكام في الحياة الثقافية:

لقد تجلى احترام العثمانيين وتقديرهم للعلماء ومحاولة التقرب منهم في بنائهم للعديد من الزوايا والمساجد في كل من المدن والقرى، وأوقفوا عليها أملاكهم اعتمادا منهم على منطق التضامن الإسلامي، وهذا دليل على محاولتهم خلق إطار التواصل مع الأهالي عن السلطة الروحية[4]، وقد اشتركوا حكاما وجنودا وكراغلة في إقامة هذه المؤسسات وتأمين المواد لصيانتها والإنفاق عليها[5]، وبالرغم من اهتماماتهم الحربية إلا أن عقيدتهم تجلت في بنائهم المساجد والمدارس وكذا والأوقاف، وهذا لخدمة المجتمعات الإسلامية[6]، حيث نجد أن أغلب

1- أحمد مبارك العطار، تاريخ حاضرة قسنطينة، تح و تع: رابح بودار ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م، ص 183.

2- ابن هطال، المصدر السابق ، ص 73.

3- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 146.

4- محفوظ قداش،" الجزائر في العهد التركي"، العدد 52، 1977م، ص 11.

5- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 192.

6- محمد المهدي بن علي بن شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م، ص211.

المساجد التي أسست بمدينة الجزائر بين القرنين 17 و 18م أغلبها بني على أنقاض مراكز دينية سابقة كالجامع الجديد الذي بني مكان المدرسة البوعنابية، و جامع علي باشا الذي أسس عام 1758م[1]، ونفس الظاهرة في البادية حيث ساهم رجال السلطة بدورهم في بناء المراكز الدينية فنجد الباي على (1710م – 1715م) شجع الزوايا وفتح المدارس، كما بنى الباي بوحنك الجامع الاصغر عام 1743م، حيث كان يدرس فيه نحو ثمانية مدرسين، كما أذن ببناء مدرسة قربه، أما بايلك الغرب فأشهرهم الباي محمد الكبير الذي أصلح مساجد معسكر وبنى مشاهد الأولياء، كضريح الولي محمد بن عودة والولي أحمد بن يوسف الملياني كما بني للعالم الفقيه محمد علي أبو طالب المازوني بعد الفتح الثاني لوهران مدرسة فقهية بمازونة[2]، ومن أجل كسب تأييد رجال الدين سعى بعض الحكام إلى أخذ نذور على أنفسهم مثلما فعل الباي حسين بن صالح عام 1807م حيث أخذ على نفسه نذرا تعهد فيه ببناء دار الولي سيدي علي، و كذلك دار سيدي محمد بن سيدي سعيد، وإصلاح مسجده، وهذا حتى يضمن تأييد السكان له في حملاته على الجهات الشرقية لبايلك قسنطينة[3] في حين وجد من مقام بهذا وفاء منه للمرابطين الذين ساعدوه كالآغا يحيى بن مصطفى، الذي بنى مسجد جمعة "الصهاريج"[4] والباي محمد الذباح الذي بنى في القرن 18م قبة ضريح المرابط سيدي علي[5] من ماله الخاص بقيمة مليونين ريال (5000) فرنك[6]، وقد كانت

1- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 233.

2- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 133.

3- ناصر الدين سعيدوني، الوقف و مكانته، المرجع السابق، ص 59.

4- الورتلاني، المصدر السابق، ص 58.

5- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 233.

6- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية في الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي بيروت 2000م، ص 59.

النتيجة المترتبة على هذه السياسة ازدياد عدد الزوايا في غالبية مناطق الإيالة. فقد أحصى الورتلاني حوالي خمسين زاوية بزواوة ونحو 20 زاوية بمدينة بجاية وضواحيها[1].

ففي هذه الفترة لا نكاد نجد حاكما إلا و بنى مركزا دينيا أو ثقافيا سواء كان مسجدا أو مدرسة أو زاوية إلا وأوقف عليه حبوسا من ماله الخاص، مساهمة منه في تمويل وبناء المراكز الثقافية[2] وتوظيف المدرسين وتوفير اسكن للطلبة، لهذا فمنهم من كان يشتري الكتب ويوقفها على الطلبة كالباي محمد الكبير الذي كان يشتري المخطوطات النفيسة ليحبسها على المدارس وعلماء المساجد فأبو راس الناصري وحده حبس عليه بايات وهران مكتبة سميت مكتبة المذاهب الأربعة[3].

و لهذا فإن إدراك العثمانيين للأهمية التي يمكن أن يتركها الوقف في الأوساط الشعبية كونه وسيلة للتضامن، ودعم الحياة الثقافية من جهة وهو وسيلة لتأكيد نفوذهم واستمرار حكمهم، لهذا نجد تزايد الأوقاف خلال القرن 18م خاصة بمدينة الجزائر كأوقاف راوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي التي قدرت عشية الاحتلال بـ 82 وقفا[4]، وقد عمد الأتراك إلى تنظيمها، وهذا بإنشاء هيئة تسهر على رعايتها وهي المجلس العلمي ومن أشهر من سعى إلى هذا الإجراء صالح باي الذي ضبطها في دفاتر رسمية وعين بها موظفين خاصين للسهر عليها[5].

1- الورتلاني، المصدر السابق، ص 58.

2- ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 26.

3- العيد مسعود، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة سيرنا، معهد العلوم الاجتماعية، بجامعة قسنطينة، العدد 1، السنة 1979م، ص 46.

4- ناصر الدين سعيدوني، الوقف و مكانته، المرجع السابق، ص 60.

5- عبد الرحمان الجيلاني، المرجع السابق، ص 207.

2.3. انعكاسات الوضع الثقافي على المجتمع الجزائري

1.2.3. أثر التربية الروحية على المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني:

كان للطرق الصوفية دور هام بالجزائر أواخر العهد العثماني، حيث خدمت الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، بل وخدمت الإنسان كإنسان دون أي تفرقة عرقية أو عنصرية ودون النظر إلى لون جلدته سواء كان أبيض أو أسود[1]، كما اهتمت بحفظ القرآن الكريم ونشره بين مختلف الطبقات الاجتماعية، لحمايته من الضياع والنسيان"[2]، وقد احتضنت اللغة والثقافة العربية ونشرها بشكل واسع، فكان ذلك شكلا من الأشكال المقاومة للجهل والأمية وفض النزاعات وتوفير الأمن في التنقل للقوافل التجارية، وتركها لتراث كبير من الأشعار والأذكار والتأليف[3]، فعلى سبيل المثال نجد الطريقة الرحمانية كان لها دور عسكري عند دخول الاستعمار الفرنسي في الأراضي الجزائرية، فقد تحركت الزوايا الرحمانية لنجدة العاصمة[4]، ورغم كل هذا نجد أن الطرق الصوفية كانت نقمة على المجتمع وذلك بما أحدثوه من خلافات وخصومات بين شيوخها لأغراض شخصية حول النفوذ والملكية للمكانة الاجتماعية، كما انتشرت في أوساطها الدروشة والخرافات والأباطيل والبدع بين أتباعها بسبب العجز الفكري لقيادتها عن فهم التطورات القائمة وصراعها مع الحركات الإصلاحية[5].

1- عمار هلال، المرجع السابق، ص 95.

2- أحمد طالب الابراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 15.

3- الطاهر زهروني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص13.

4- ابراهيم مياسي، "الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف"، مجلة حولية، ج1، الجزائر، 2000م، ص39.

5- يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص 20- 21.

أما فيما يخص الزوايا فكانت تقوم بتثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطش للعلم والمعرفة[1]، وهي مقسمة إلى قسمين كل قسم يقوم بدوره، فالأول يقوم بدور تحفيظ القرآن الكريم، أما القسم الثاني فدوره تدريس بعض الفقهيات وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق، وبعض المبادئ في علم الفلك وغيره[2].

أما دور المساجد حيث كان المسجد في العهود السابقة محكمة لحل النزاعات والمشاكل بين المتخاصمين، وبين الأسر خصوصا في مسائل الزواج والطلاق، وقضايا الميراث كما كان مأوى لعابري السبيل وإطعامهم ومساندة الفقراء والمحتاجين والمساكين في الأحياء من خلال التبرعات[3] ومشاركة الكثير من أئمة بعض المساجد في النشاط الثوري، ونجد مساهمة احمد التجاني[4] بمسجد سي بن سالم وغيرهم ولقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في الجزائر[5]، فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد، وهو لإقامة الصلوات وحلقات الدروس اليومية ومنشط للحياة العلمية، وكان تشييد المساجد عملا فرديا من الدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته، وقد بلغ عدد المساجد الموجودة بالجزائر العاصمة حوالي 106 مساجد[6]، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاتيب القرآنية

1- إسماعيل العربي، الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، طبع مؤسسة الفنون المطبعية، الجزائر، 1986م، ص 14.

2- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1734م- 1837م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص 39.

3- محمد القيسي، المساجد بين الأتباع والإبداع، دار العلم، د.ط، الجزائر، د.ت، ص 25.

4- هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم المختار التجاني المولود عام 1150هـ / 1737م بمدينة عين ماضي، حيث بدا نشاطه التعليمي الأول بمسقط رأسه، حيث حفظ القرآن الكريم، ثم قام بدراسة باقي العلوم الأخرى السائدة في عصره للمزيد، ينظر: ابن الحفناوي، المصدر السابق، ص 282.

5- محمد عبد الحميد محمد، الصوفية والجهاد في سبيل الله، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ط، مصر، د.ت، ص 45.

6- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 64.

حيث كانوا يحفظون بها القرآن الكريم وتعليم الصبيان القراءة والكتابة، ويمكن القول بأن تأثير الكتاتيب القرآنية كان أغلبه إيجابيا[1].

2.2.3. أثر الأوقاف على الحياة في المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني:

يعتبر الوقف أو الحبس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية والقيم، فهو يصنف ضمن الصدقات الجارية بإجماع الفقهاء والعلماء المسلمين، فهو يعبر أساسا عن إرادة الخير وتضامن عند الإنسان المسلم[2].

وقد عمَّ الوقف بالجزائر العثمانية، عبر حواضرها وأريافها وشمل الأملاك العقارية والبساتين والحدائق، والأراضي الزراعية وغيرها من الحبوس، وأما عن مساهمة الأوقاف في الحياة الفكرية تمثلت في دورها الهام الذي يكمن في تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر وذلك عن طريق المداخيل التي تحبس لها، وزيادة على هذا لقد كان لها دور في رفع بعض الضغوطات عن متاعب الحياة الاجتماعية والثقافية، إضافة إلى الجانب الكبير في خدمة الحياة العلمية[3]، ونرى أن الباي محمد الكبير أظهر أولوية العناية بالوقف في مشروعه الثقافي وهذا من أجل المحافظة على سير وديمومة المؤسسات التعليمية.

وأما عن الوقف فقد كان له العديد من الإيجابيات نذكر منها: أنه كانت موردا رئيسيا للتعليم والمساجد والزوايا والمدارس والكتاتيب وغيرها، أما بالنسبة لسلبياته تكمن في كونه أوقاف من طرف مجموعة من الناس الخيريين، أي من العامة فقط، فقلما تجد أوقافا تصدر من حكام الدولة أو من حاشيتهم التابعة لهم، ومن هنا يمكن القول أن الأوقاف أو الحبوس كان لها

1- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 272.

2- أبو عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، المكتب العربي، الكويت، 1969م، ص 23.

3- أندري بريان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م، ص 211.

دور كبير وأثر واضح على الجزائر العثمانية، لأنها تدل على مدى تكافل وتضامن المجتمع الجزائري[1].

3.2.3. انعكاس نشاط المدارس والتعليم وأثرها على المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني:

عرّف أبو راس الناصري المدرسة بقوله: "المدرسة المتعارف عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم تعليما وتعلما"[2] وقد كثرت المدارس في مختلف حواضر الجزائر حيث لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن أو القرى، كما كان التعليم في الجزائر أساسه الدين وحفظ القرآن الكريم الذي يعد عماد التعليم خاصة في مرحلة الابتدائي، وقد كانوا يدرسون العلوم الدينية واللغوية مثل: قانون ابن سينا في الطب والتاريخ والسيرة وعلم الكلام وأصول الفقه والدين والتصوف والعبادة، كما يشير "فونتيردي برادي" إلى وجود ثلاث جامعات بمدينة الجزائر إلا أن أبا القاسم سعد الله لا يعتبرها في الواقع جامعة بالمعنى الصحيح لأنه لم يكن يوجد بها مدرسة للتعليم العالي تضاهي الأزهر والقرويين والزيتونة[3].

ولكن بعد ذلك اختفت بعض المدارس من جراء انعدام الصيانة وسبب تحويلها إلى مصالح عمومية، ولسوء الحظ مسها الأذى والتخريب الذي لحق بكل شيء، كما لم تأبه بنقص اعتمادات التجهيز المخصصة للمدارس، بالإضافة على إبقائها المرتبات موظفي المساجد على حالتها السابقة في الوقت الذي انخفضت فيه القيمة النقدية، وأمام هذا الوضع لم يعد جمعهم للوظائف يشكل امتيازات كما في السابق[4]، مما أدى بأولياء التلاميذ إلى الرفع من منح الأساتذة، إلا أن غلاء المعيشة أدى بمعظم العائلات إلى توجيه أولادهم نحو أخرى

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 227- 228.

2- أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص 91.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 317.

4- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830م- 1990م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م، ص 219.

مريحة، وهكذا تردى وضع الأساتذة واتجه نحو التذمر والفقر، وأتبعه انخفاض في مستوى التعليم مدة طويلة على عكس ما كان عليه في بداية العهد العثماني من إشراف وتألق، حيث كان الأساتذة يعينهم الداي باقتراح من الناظر الذي ينتخبهم من ضمن هيئة العلماء[1]، وكان معدل المنح بالنسبة إليهم يتراوح بين 160 و 200 دينار سنويا، بالإضافة إلى حصولهم على سكنات مجانية مع امتيازات أخرى تتمثل في الزيت والماء والتوزيع اليومي للحلويات إبان شهر رمضان، وهذا يرجع إلى كون أن درجة الأستاذ كانت محل اهتمام واعتبار واسع أواخر العهد العثماني وأثر هذا على المجتمع الجزائري الذي أصبح يحترم الأستاذ ومهنته النبيلة ويبجله على العديد من المناصب الأخرى، وهكذا كان التعليم محل اهتمام كبير من طرف السلطة والشعب على حد سواء[2].

أما بالنسبة للمكتسبات فقد لعبت في العهود السابقة نفس الدور الذي تلعبه حاليا، إذ هي المركز الثقافي والمعلوماتية الذي يعكس تراث الأمة وتطورها العلمي والأدبي والفني[3].

وقد كانت المكتسبات تضم الكتب بالإضافة إلى المخطوطات في مختلف الفنون، يقصدها طلبة العلم والأساتذة من كل جهة من أجل المطالعة[4]، وهي عامة وخاصة لذلك كانت الجزائر العثمانية في طليعة الميدان الكثيرة المكتسبات ومن أهم الكتب التاريخية الأدبية والعلمية نذكر:

تاريخ ابن الأثير، تاريخ الجوزي ونظم الدرر للتسني، والنهاية لابن الأثير، وديوان ابن حرم، تاريخ سوريا للوافدي، سراج الملوك للطرطوشي وغيرها[5].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 334.
2- كمال خليل، المرجع السابق، ص 16.
3- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 71.
4- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، المصدر السابق، ص 59.
5- شاكر مصطفى، تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت، 1996م، ص 40.

وإلى جانب هذه المكتبات الضخمة كانت هناك مكتبة أخرى أقل أهمية من مكتبة "باش تارزي" والتي كانت تظم أكثر من 500 مخطوط أغلبها في الفقه والدين، ومن الآراء المتداولة الاعتقاد أن شعب الجزائر غير مثقف وأن الاستعمار وفر له التعليم، لكن نجد أن شعب الجزائر أواخر العهد العثماني يفوق الشعب الفرنسي حيث كانت أغلبية الناس تعرف القراءة والكتابة والحساب[1]، وهو ما تؤكد عليه مراجع المصادر أن نسبة غير المتعلمين كانت أقل مما كانت عليه في فرنسا التي تجاوزت نسبة 40%، والشاهد على ذلك توقيع السكان وإمضائهم على دفاتر الحالة المدنية باللغة العربية في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي، ففي المدن كان الأطفال يتعلمون بالمدارس (الكتاب) ويلاحظ بالجزائر حوالي مئة مدرسة عمومية وخاصة قبل حلول الاستعمار الفرنسي، وهذا دليل على اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم[2]، والذي انعكس إيجابا على المجتمع الجزائري، ولهذا فقد لعبت المكتبات العامة والخاصة دورا هاما في نشر التعليم والثقافة وذلك بشحن أذهان العلماء والمدرسين والطلبة وأن كثرتها دليل على أن الشعب الجزائري كان على درجة كبيرة من التحضر خلافا لما زعمه بعض الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر[3]، و لقد تميزت الفترة العثمانية في الجزائر خصوصا أثناء فترة الدايات بالغزارة والتنوع في المؤلفات والفنون، ولذلك نجد خزائن المكتبات ملئت بالمؤلفات والكتب، لهذا كان التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات[4].

ورغم ما تمر به هذه الفترة من العهد العثماني من عوائق ومشاكل سواء من ناحية المستوى الثقافي أو من جهة المشاكل الاجتماعية، لكن حركة التأليف فيها كانت في انتعاش وحيوية، ولا نكاد نجد عالما إلا وله قائمة قصيرة أو طويلة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة[5]،

1- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص 10.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي بالجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 61.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 309.

4- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، المصدر السابق، ص 53.

5- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 67.

وقد تمثل ذلك في الشروح والحواشي والتعاليق والرسائل والفهارس، وفي التآليف ذات الأجزاء، وأما بالنسبة للمادة الخام، فقد كانت تجلب من خارج البلاد، فنرى مثلا تونس كانت معبرا ومدرسة للجزائريين، وذلك يعود لتواصل بينهم، حيث أنهم يجتمعون بعلمائها ويتبادلون معهم التأليف والإجازات ونحو ذلك، ومن بين هؤلاء العلماء يوجد العالم "أحمد بن عمار" الذي ألف كتاب في تاريخ علي باي وعلق على بعض من الكتب الأخرى[1].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 400.

الخاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا للفترة العثمانية بالجزائر في جانبيها الاجتماعي والثقافي توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات تتمثل فيما يلي:

– إن المجتمع الجزائري في العهد العثماني كان مقسما إلى مجتمع حضري ومجتمع ريفي كانت السلطة فيه ترتكز على العنصر التركي الذي مثل الطبقة العليا الحاكمة متجاهلا الجزائريين الذي همشهم وأبعدهم عن تحمل أي مسؤولية وكانت تنسب إليهم إلا الأعمال الشاقة.

– تذبذب عدد السكان ربما راجع إلى الأمراض والأوبئة والمجاعات التي أصابت المجتمع في ذلك العهد.

– اختلاف مظاهر الحياة الاجتماعية حسب الطبقات الاجتماعية، فطبقة كانت تعيش حياة البذخ على عكس الطبقات الأخرى التي كانت تعيش حياة العوز والفقر والحرمان ويتجلى ذلك في حفلات الزواج واللباس والطعام والمسكن حيث كانت تختلف حسب الظروف المادية ومكانة تلك الطبقة في المجتمع.

– وجود التأثير العثماني في جوانب عديدة كالعادات والتقاليد.

– إن مدينة الجزائر كانت لها حضارة عربية إسلامية عبر التاريخ، وتتجلى هذه الحضارة في الحمامات العربية والمقاهي وغيرها في العهد الإسلامي عامة والعهد العثماني خاصة.

– تمركز حركة التعليم والثقافة بالجزائر في مجموعة من الحواضر كالعاصمة، قسنطينة تلمسان، عنابة وبسكرة، التي أصبحت مركز إشعاع ثقافي وعلمي ازدهرت بها العلوم والفنون.

اقتصر التعليم على مؤسسات ثقافية بسيطة كالمسجد والزاوية والكتاتيب القرآنية التي كانت تعتمد على تعليم ديني بوسائل بسيطة كتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ القراءة والكتابة.

- قلة الإنتاج الثقافي بسبب عدم اهتمام العثمانيين بهذا الجانب بقدر اهتمامهم بجوانب الحياة الأخرى، فإن مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي والمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث، فالتعليم لم يكن من اختصاص الحكومة بل اعتمد على مبادرة المحسنين والجمعيات الخيرية كالوقف الذي يعتبر بمثابة أحد الركائز الأساسية في استمرارية الحياة الثقافية، فهو أكبر مغذي للمؤسسات الثقافية أنداك.

- غنى المرحلة العثمانية بالتنوع الثقافي.

- ونخلص إلى أن التعليم كان منتشرا بكثرة إلا أنه ظل يعاني الطابع التقليدي الذي لا يواكب التطورات.

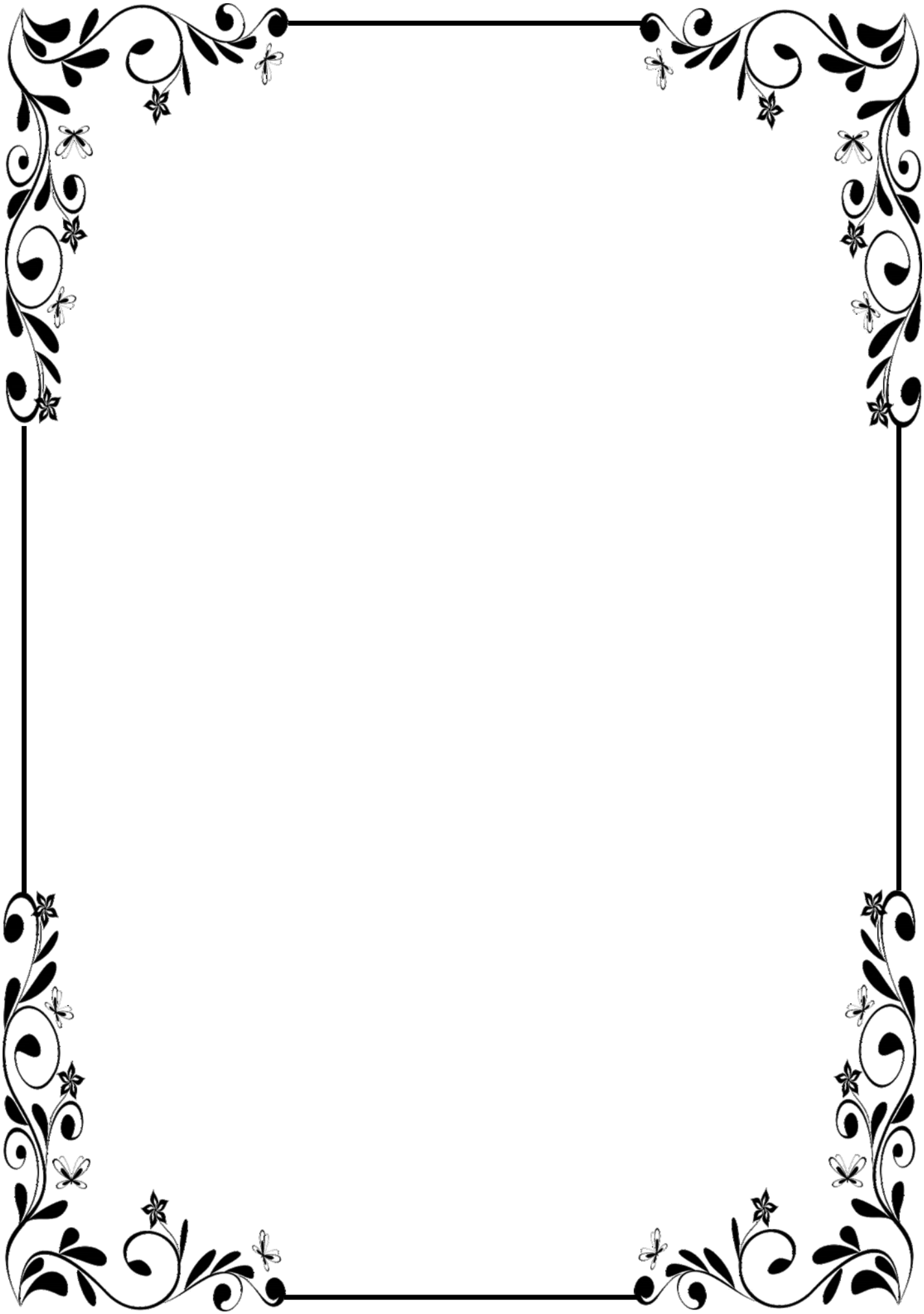

الملحق رقم 01: الجامع الكبير[1]، منظر خارجي.

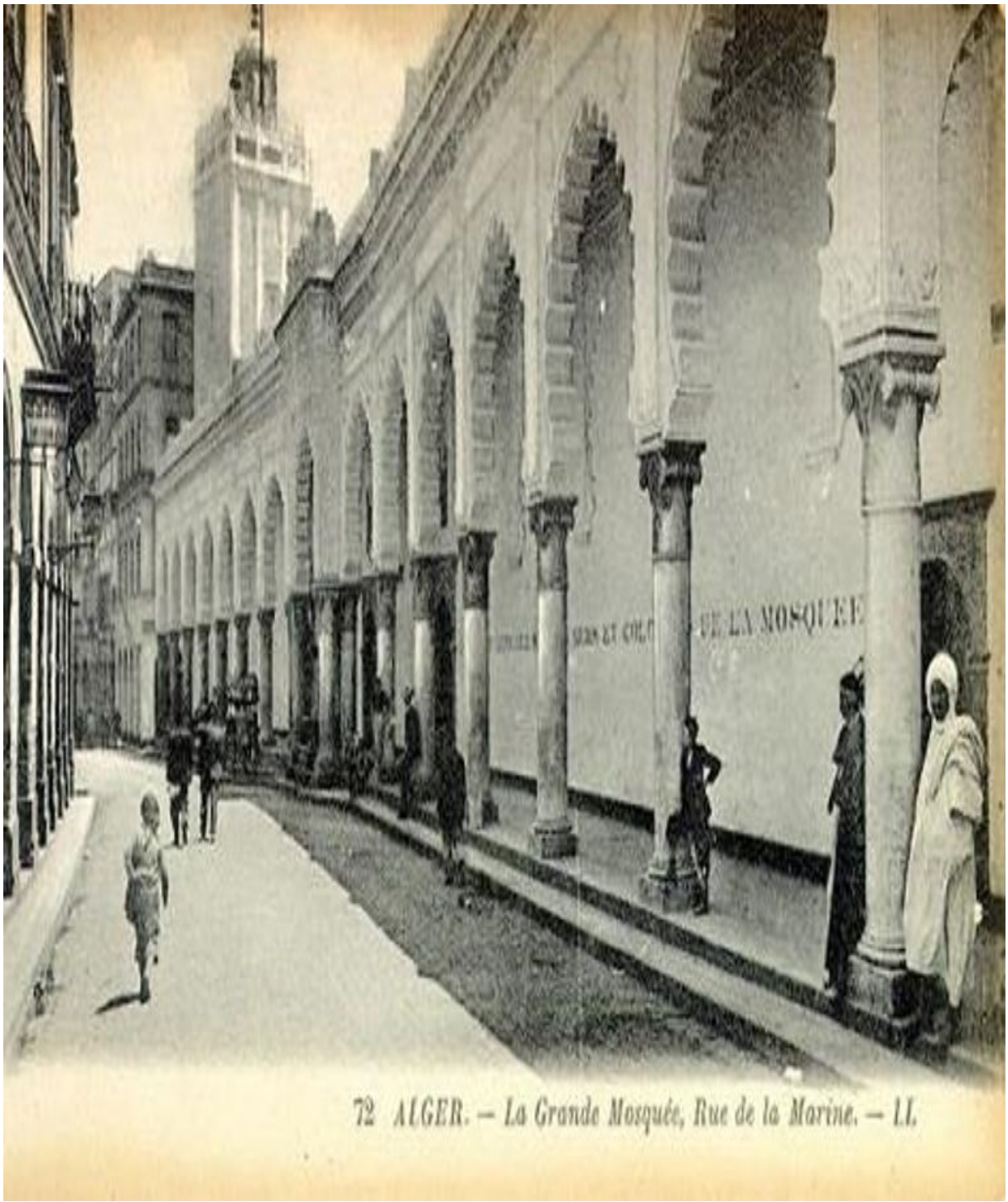

1- نصر الدين براهمي: تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص115.

الملحق رقم 02: مدارس قرآنية[1].

1- نصر الدين براهمي، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 101.

الملحق رقم 03: ميزابي من سكان مدينة الجزائر[1]

1- أحمد السلماني، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 212.

الملحق رقم 04: بسكري من سكان مدينة الجزائر[1]

1- أحمد السلماني: تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 214.

الملحق رقم 05: أحد سكان مدينة الجزائر[1]

1- أحمد السلماني: تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 213.

الملحق رقم 06: انكشاري بالزي النظامي[1].

1- أحمد السلماني: تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 211.

الملحق رقم 07: امرأة بالزي المحلي[1].

1- أحمد السلماني: تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 215.

الملحق رقم 08: مسجد كتشاوة[1].

1- سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 73.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم.

I. المصادر:

1. ابن حمادوش عبد الرزاق ، كشف الرموز في بيان الأعشاب ... مصدر
2. ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي، دمشق، 2007م.
3. ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون، تح، كاترمير، مج 13، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م.
4. أبو راس الناصري الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ج1، 2011م، الجزائر.
5. بفايفر سيمون، لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
6. الحسن الورثلاني، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن شنب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 2007.
7. الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
8. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق– تح– تع الدكتور محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
9. الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
10. سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، نعامي عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
11. سيدي على حرازم ابن العربي برادة ،جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لصاحبه، منشورات درا الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1997.
12. شالر وليام، قنصل أمريكا في الجزائر 1816– 1824م، تع–تق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1982.

13. كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

14. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1676.

II. المراجع:

15. الابراهيمي أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، تر: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

16. ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، تح: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983

17. ابن هطال، رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تح: محمد بن عبد الكريم، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.

18. الأزرق مغنية، نشوء الطبقات في الجزائر، دراسة الاستعمار والتغيير الاجتماعي السياسي، تر: سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980.

19. باتيست جون وولف، الجزائر وأوربا 1500م- 1830م، تر – تع، أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 2005.

20. باياني سيد أحمد، الجزائر، من سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة، ش.و.ت.ن، الجزائر، 1974.

21. بحري أحمد، الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013.

22. بريان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: إسطنبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م.

23. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، شون ت الجزائر، 1997.

24. بلحميسي مولاي، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، العدد 8، الجزائر، 1982.

25. بن حموش مصطفى أحمد ، الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، ندوة الوقف الإسلامي 6-7 ديسمبر 1997، العين، جامعة الإمارات العربية.

26. بوحوش عمار، التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1947.

27. البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

28. بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، د.ب، ن.ت، ط.ح، الجزائر، 2009.

29. بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 . د. م. ج ، الجزائر، 1965.

30. بوعزيز يحيى، مدينة وهران عبر التاريخ، د.ب.ن.ت، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص94.

31. بوملجم علي، في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، د.ت.

32. جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس(1492- 1610م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

33. دحماني توفيق، دراسة في عهد الأمان، الدار العثمانية الجزائر، 2009م.

34. دودو أبو العيد، الجزائر في بلاد الراحلين الألمان (1815-1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

35. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الأمان (1830-1855)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

36. الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1973.

37. زهروني الطاهر، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، طبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.

38. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830م-1990م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م.

39. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

40. سعد الله أبو القاسم، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، د.ط، دار البصائر، الجزائر،2007.

41. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر، بداية الاحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3.

42. سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

43. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط3، البشائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

44. سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية في الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي بيروت 2000 م.

45. سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

46. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني، م.و.ك الجزائر، 1984.

47. سعيدوني ناصر الدين، موظفو الدولة الجزائرية في القرن 19م، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر.

48. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000

49. سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

50. السلماني أحمد ، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

51. السلمي أبو عبد الرحمان، الطبقات الصوفية، المكتب العربي، الكويت، 1969م.

52. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنالي، د.ط، بيروت

53. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

54. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

55. العربي اسماعيل، الدراسات العربية بالجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

56. العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية (1547م – 1791م)، ط2، دار النفائس، بيروت.

57. العطار أحمد مبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، تح و تع: رابح بودار ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م.

58. علي بن عبيد القادر، أرجوزة النظم الغريب في بسوط الكسور، مخطوط مجموع بالمكتبة الوطنية بالحامة، تحت رقم 2066، الورقة 1.

59. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962م، دار المعرفة، الجزائر، ج2، 2009م.

60. العنتري محمد الصالح، مجاعات قسنطينة، تح وتق رابح بونار، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

61. الغوري سيد عبد الماجد، الضوابط الأساسية لفهم الحديث النبوي، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2019م.

62. فويال سعاد ، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

63. كعوان فارس، تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

64. ماري مالزباتريك، سلاطين بني عثمان، ط1، مطبعة عزالدين للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1986م.

65. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004.

66. محمد الطيب عقاب، "قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، د.ط، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

67. محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،

68. محمد القيسي، المساجد بين الأتباع والإبداع، دار العلم، د.ط، الجزائر، د.ت.

69. محمد المهدي بن علي بن شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م.

70. محمد عبد الحميد محمد، الصوفية والجهاد في سبيل الله، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ط، مصر، د.ت.

71. محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، دار الفكر، دمشق.

72. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1676.

73. المريني عبد العزيز، مباحث في علم القراءات، ط1، دار كنوز، المملكة العربية السعودية، 2011.

74. مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الجزائر، 2007.

75. موستراس. س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر- تع عصام محمد الشحادات، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

76. مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1734م- 1837م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

77. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج4، ط1، دار الكتاب العربي، 2011

78. نصر الدين براهمي: تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.

79. نصوص ناصر الدين براهيم، علي قابليت، الجزائر المحمية بالله- تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات تالة، الجزائر، 2010.

80. نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

81. الهرماسي محمد عبد الباقي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط2، 1992.

III. المجلات والدوريات.

82. أشرف صالح محمد سيد، "المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي" ، مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الرابع، العدد 8، 2013.

83. البوعبدلي المهدي، "الرباط والفداء في وهران والقبائل"، مجلة الأصالة، العدد 13، 1973.

84. التميمي عبد الجليل ، "وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1980.

85. الحسن السائح، "الثقافة المغربية في عصر السعديين"، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد 13، 1963م.

86. رحمة قليل، "العلوم الدينية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجله الحور المتوسطي، ع1، مج 12، سيدي بلعباس، الجزائر، 2021 م.

87. سعد الله أبو القاسم، "أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة"، مجلة الثقافة، العدد 51، 1979م.

88. سعيدوني ناصر الدين، "الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني"، مجلة وزارة الثقافة والسياحة، ع92، الجزائر، 1986.

89. سعيدوني ناصر الدين، "طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية"، المجلة التاريخية المصرية، العدد 25، 1978.

90. عامر محمود، "المحطات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 117، كانون الثاني، حزيران 2012، جامعة دمشق.

91. عبد الحق مزيان، "طريق الذهب وطريق الثقافة"، مجلة الأصالة، العدد 3، 1971.

92. قداش محفوظ ، "الجزائر في العهد التركي"، مجلة الأصالة، العدد 52، 1977م.

93. محمد البشير الهاشمي مغلي، "التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، عدد 6، 2002.

94. محمد الزين، "نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، 2012.

95. مسدور فارس ومنصوري كمال،"التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف (التاريخ والحاضر والمستقبل)"، مجلة أوقاف ، العدد 5 ، الجزائر، نوفمبر ، 2008 .

96. مسعود العيد، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة سيرنا، معهد العلوم الاجتماعية، بجامعة قسنطينة، العدد 1، السنة 1979م.

97. مسعود العيد، "حركة التعليم في الجزائر"، مجلة سيرتا، العدد 3، 1980.

98. المشهداني مؤيد محمود حمد، "أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد5، ع1، نيسان 2013.

99. مياسي ابراهيم، "الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف"، مجلة حولية، ج1، الجزائر، 2000م.

IV. رسائل ومذكرات التخرج:

100. داداة محمد، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (مطلع القرن 18م حتى 1830م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1985م.

101. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006.

102. صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية والاسلامية، 2008م.

103. الغالي بن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري (التجانية والعلوية والقادرية) دراسة أنثروبولوجية، غير منشورة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، (2008-2009).

104. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون لمدينة الجزائر (1700-1830م)، مقاربة اجتماعية اقتصادية، الجزائر، 2007.

105. مزوز خديجة، الكوارث الطليعية والأزمات الصحية وأثرها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية، مذكرة ماستر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، 2016/2015.

106. موساوي فلة القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871)، أطروحة دكتوراء في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 2003-2004.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات:

- ✓ شكر وعرفان.
- ✓ مقدمة ..... أ

الفصل التمهيدي: الوضع العام في الجزائر.

1. الأوضاع الاقتصادية. **06**
2. الأوضاع الاجتماعية. **08**
3. الأوضاع الثقافية. **11**

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية في الجزائر بالعهد العثماني.

1. البنية السكانية في الجزائر. **15**
   1.1. سكان الريف والمدينة. **15**
   2.1. الوضع الديمغرافي. **25**
2. الحياة الاجتماعية للسكان في الجزائر. **26**
   1.2. المرافق الاجتماعية. **26**
   2.2. العادات والتقاليد. **29**
3. الوضع الصحي وعلاقته بالكوارث الطبيعية. **33**
   1.3. الكوارث الطبيعية. **33**
   2.3. الوضع الصحي. **39**

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية والتثقيفية في الجزائر.

1. المؤسسات الثقافية. **45**

2.4. الأوقاف والمساجد. **50**

2.5. المؤسسات التعليمية. **61**

2. أهم العلوم والعلماء. **68**

1.2. العلوم اللغوية والشرعية (العلوم النقلية). **68**

2.6. العلوم العقلية. **76**

3. مساهمة الحكام في الحياة الثقافية. **79**

1.4. الحكام ودورهم في الحياة الثقافية. **79**

2.7. انعكاسات الوضع الثقافي على المجتمع. **85**

الخاتمة. **93**

الملاحق..... **96**

قائمة المصادر والمراجع..... **105**

تم بحمد

الله

الملخص:

عرفت الوضعية الاجتماعية في عهد الجزائر العثمانية تنظيماً طبقيا، احتلت فيه الأقلية التركية قمة الهرم ومثّل الأهالي القاعدة، ولم تندمج طبقة الأتراك بالسكان، فقد وصل الأمر لرفض المولودين من الجزائريات (الكراغلة) خوفا من سيطرتهم على البلاد، كما عاشت الجزائر ظروفا صحية ومعيشية صعبة للغاية، نتيجة التأثير السيئ للأمراض والأوبئة التي تجتاح البلاد من حين لآخر، وهذا ما أثر على النمو الديمغرافي للسكان نظرا لغياب الرعاية الصحية.

امتازت الحياة الثقافية في الجزائر بالركود، فقد فكانت المؤسسات الثقافية من مساجد وزوايا ورباطات للتعليم أكثر منها للثقافة بمفهومها الحالي، ولم يكن بين هذه المؤسسات جامعة أو معهد عال، رغم أن هذه الأخيرة كانت تنشر تعليما في المستوى العالي، إلا انه ظل يعاني الطابع التقليدي الذي لم يواكب التطورات.

الكلمات المفتاحية: الأوضاع الاجتماعية والثقافية، الدولة العثمانية، المؤسسات التعليمية، إيالة الجزائر.

Abstract:

The social situation during the Ottoman Algeria era was defined by a class organization, in which the Turkish minority occupied the top of the pyramid and the people represented the base, and the Turks class did not merge with the population, it came to rejecting those born from Algerian women (**Kouloughlis**) for fear of their control over the country, Algeria also lived very difficult health and living conditions, as a result of the bad impact of diseases and epidemics sweeping the country from time to time, and this affected the demographic growth of the population due to the absence of health care.

The cultural life in Algeria was characterized by stagnation, as cultural institutions consisted of mosques, corners and links for education more than for culture in its current concept, and there was no university or higher Institute among these institutions, although the latter were spreading education at a high level, but it continued to suffer the traditional character that did not keep pace with developments.

Keywords: social and cultural conditions, Ottoman Empire, educational institutions, eyalet of Algeria.